



عناية الإسلام
بالصحة والوقاية من المرض

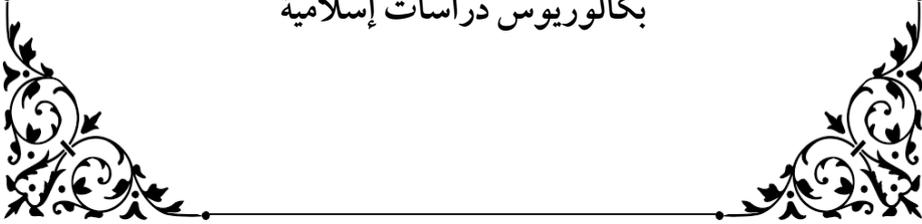


عناية الإسلام
بالصحة والوقاية من المرض

تأليف

فواز بن لوفان الظفيري

بكالوريوس دراسات إسلامية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد:

أنعم الله تعالى على عباده بالكثير من النعم التي لا تعد ولا تحصى، سلامة وصحة في الأبدان وأمن في الأوطان، وغيرها الكثير من النعم العظيمة، قال عزَّجَلَّ: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ولو تأملنا في هذه النعم المتنوعة والكثيرة لوجدنا أن من أفضلها وأجلها نعمة الهداية إلى دين الإسلام والعقيدة الصحيحة، فإنَّ الله تعالى امتنَّ على عباده بنعمة الإيمان، وممَّا دلَّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن النعم العظيمة، نعمة الصحة والسلامة من الأمراض والآفات، فإنَّ الصحة تمكِّن العبد من القيام بالعبادات والطاعات التي أمره الله تعالى بها، وحرص الإسلام على تمتع المسلم بالصحة، وأثنى على المؤمن القوي إذا كان يستخدم هذه الصحة والقوة في طاعة الله تعالى، والبعد عن معصيته، واستخدمها فيما ينتفع به في دينه ودنياه؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ اِحْرَاضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعْنُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ. وَإِنَّ

أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أنني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإنَّ «لو» تفتح عملَ الشيطان»^(١).

يقول ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: (ولما كانت الصحة والعافية من أجل نعم الله على عبده، وأجزل عطاياه، وأوفر منحه؛ بل العافية المطلقة أجل النعم على الإطلاق، فحقيق لمن رزق حظاً من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عما يضادها، وقد روى البخاري في «صحيحه» من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

وفي الترمذي وغيره من حديث عبيدالله بن محصن الأنصاري قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أصبح معافى في جسده آمناً في سره عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا».

وفي الترمذي أيضاً من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد».

ومن ههنا قال من قال من السلف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسَعَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، قال: عن الصحة.

وفي «مسند الإمام أحمد» أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للعباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يا عباس يا عم رسول الله! سل الله العافية في الدنيا والآخرة».

(١) رواه مسلم.

وفيه عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «سلوا الله اليقين والمعافاة فما أوتي أحد بعد اليقين خيراً من العافية» فجمع بين عافيتي الدين والدنيا، ولا يتم صلاح العبد في الدارين إلا باليقين والعافية؛ فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا في قلبه وبدنه.

وفي «سنن النسائي» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرفعه: «سلوا الله العفو والعافية والمعافاة فما أوتي أحد بعد يقين خيراً من معافاة»، وهذه الثلاثة تتضمن إزالة الشرور الماضية بالعفو والحاضرة بالعافية والمستقبلية بالمعافاة، فإنها تتضمن المداومة والاستمرار على العافية.

وفي الترمذي مرفوعاً: «ما سئل الله شيئاً أحب إليه من العافية».

وقال عبدالرحمن بن أبي ليلى: عن أبي الدرداء قلت: يا رسول الله! لأن أعافى فأشكر أحب إلي من أن أبتلى فأصبر، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ورسول الله يحب معك العافية».

ويذكر عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: ما أسأل الله بعد الصلوات الخمس؟ فقال: «سل الله العافية فأعاد عليه»، فقال له في الثالثة: «سل الله العافية في الدنيا والآخرة»^(١).

(١) «زاد المعاد في هدي المعاد» لابن القيم الجوزية، فصل في هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حفظ

الصحة، (٤/١٩٥)، الناشر: مؤسسة الرسالة، الكويت.

وحرص الإسلام على التداوي والعلاج، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ خَلَقَ الدَّاءَ خَلَقَ الدَّوَاءَ فَتَدَاوُوا»^(١).
وعن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَتِ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَدَاوَى؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، إِلَّا دَاءً وَاحِدًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «الْهَرَمُ»^(٢).

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (يجوز التداوي اتفاقاً، وللمسلم أن يذهب إلى دكتور أمراض باطنية أو جراحية أو عصبية أو نحو ذلك ليشخص له مرضه ويعالجه بما يناسبه من الأدوية المباحة شرعاً حسبما يعرفه في علم الطب؛ لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب العادية، ولا ينافي التوكل على الله، وقد أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الداء، وأنزل معه الدواء، عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ عَرَفِهِ، وَجَهَلَهُ مِنْ جَهَلِهِ، وَلَكِنَّهُ سَبْحَانَهُ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَ عِبَادِهِ فِي مَا حَرَمَهُ عَلَيْهِمْ. فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدعون معرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادَّعوا علم الغيب)^(٣).

والتمتع بالصحة والخلو من الأمراض يجعل المسلم يمارس عبادته

(١) رواه أحمد وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة».

(٢) رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٣) «مجموع فتاوى الشيخ ابن باز» (٣/ ٢٧٤).

لربه جَلَّ وَعَلَا بأريحية وسكون وخشوع، وإن حصل له اعتلال في جسده بمرض، فهذا ابتلاء من الله تعالى ليرفع درجاته ويحط من سيئاته، فعن أبي سعيدٍ وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(١).

ولذلك خفف الله تعالى العبادة على المريض في حال مرضه رحمةً منه جَلَّ وَعَلَا بهذه الأمة المرحومة أمة الإسلام.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: بسهولة ما أمركم به و[ما] نهاكم عنه، ثم مع حصول المشقة في بعض الشرائع أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم، كالميتة والدم ونحوهم للمضطر، وكتزوج الأمة للحر بتلك الشروط السابقة؛ وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته). اهـ.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾

[النور: ٦١].

(١) متفقٌ عَلَيْهِ.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (يخبر تعالى عن منته على عباده، وأنه لم يجعل عليهم في الدين من حرج بل يسره غاية التيسير، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾، أي: ليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور الواجبة، التي تتوقف على واحد منها، وذلك كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى، أو سلامة الأعرج، أو صحة للمريض...). اهـ.

وعن عمران بن حُصَيْن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال لي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبٍ»^(١).

وجاءت الشريعة الغراء بالعناية بصحة الإنسان والمحافظة عليه من الأمراض ومسبباتها والوقاية منها ليصبح المجتمع الإسلامي مجتمعاً سليماً من الآفات والأمراض الفتاكة، فيكون قوياً في إيمانه، قوياً في صحته؛ فيصبح المسلم معافى في جسده، عنده قوت يومه، آمناً في بيته ومجتمعه، فإذا اجتمعت له هذه الخصال الثلاث فكأنما حيزت له الدنيا، وعن سَلَمَةَ بْنِ عُبيدِ اللهِ بْنِ مِحْصِنِ الخَطْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ، مُعَافِئاً فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»^(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي في «السنن»، وقال: حسن غريب.

«السلسلة الصحيحة».

فالحمد لله على نعمة الإسلام وعلى نعمة الإيمان وعلى نعمة الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وهبى لهم البطانة الصالحة الناصحة التي تدلهم على كل خير يا رب العالمين.

وقد كتبت هذا البحث المهم في عناية الإسلام بالصحة والوقاية من المرض لأهمية الموضوع وأن الإسلام قد اعتنى أشد العناية بصحة الإنسان، والمحافظة عليه من الآفات والأمراض والأخطار التي تهدد حياته. فإن أحسنت فمن الله وحده لا شريك له، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله تعالى وحده هو الموفق وعليه التكлян، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الصحة والمرض

تعريف الصحة والمرض:

لفظ «مريض» في اللغة هو: الوصف من قولهم: (مرض فلان) أي: أصابه المرض، والمرض: السقم -نقيض الصّحة-، وأصله النقصان أو الضعف. يقال: بدن مريض أي: ناقص القوّة، وقلب مريض: ناقص الدّين^(١).

(والتّمارض أن يري من نفسه المرض وليس به).

هذه المعاني قد يستعمل فيها أيضًا لفظ المرض بالتسكين، قال صاحب القاموس: والمرض بالتحريك أو كلاهما ثم ذكر هذه المعاني^(٢).

وفي حديث عمرو بن معد يكرب: «هم شفاء أمراضنا»، قال ابن الأثير: (أي يأخذون بثأرنا، كأنّهم يشفون مرض القلوب، لا مرض الأجسام)^(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: قال ابن الأنباري: أصل المرض في اللغة: الفساد، مرض فلان: فسد جسمه، وتغيرت حاله. ومرضت بالمرض: تغيرت وفسدت، قالت ليلي الأخيلية:

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً تتبع أقصى دائها فشفافها
وقال آخر:

ألم تر أنّ الأرض أضحت مريضةً لفقد الحسين، والبلاد اقشعرت

(١) «الصّحاح» (١١٠٦/٣).

(٢) انظر: القاموس (٨٤٣) ط. بيروت.

(٣) «النهاية» (٣١٩/٤).

والمرض يدور على أربعة أشياء: فساد، وضعف، ونقصان، وظلمة. ومنه مرض الرجل في الأمر، إذا ضعف فيه. ولم يبالغ، وعين مريضة النظر: أي فاترة ضعيفة. وريح مريضة: إذا هبَّ هبوبها، كما قال:

راحت لأربعك الرياح مريضة

أي: لينة ضعيفة، حتى لا يعفى أثرها.

وقال ابن الأعرابي: أصل المرض النقصان. ومنه: بدن مريض، أي ناقص القوة، وقلب مريض: ناقص الدين، ومرض في حاجتي: إذا نقصت حركته. وقال الأزهري، عن المنذري عن بعض أصحابه: المرض إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها. قال: والمرض الظلمة، وأنشد:

وليلة مرضت من كل ناحية فما يضيء لها شمس ولا قمر
هذا أصله في اللغة.

ثم الشك، والجهل، والحيرة، والضلال، وإرادة الغي، وشهوة الفجور في القلب: تعود إلى هذه الأمور الأربعة، فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض، فيعاقبه الله بزيادة المرض، لإيثاره أسبابه وتعاطيه لها^(١).

نعمة المرض فوائده وأحكامه:

المرض وما يصيب الإنسان من مكاره ومضار، وما يصيبه من صحة ونعم، فهي من الابتلاء الذي يتلى الله تعالى عباده، قال تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

(١) تفسير ابن القيم، سورة البقرة.

قال ابن عباس: (نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغني والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة)^(١).
(فالأمرض من جملة ما يبتلي الله به عباده، ولها فوائد وحكم، وذكر ابن القيم أكثر من مئة منها في شفاء العليل)^(٢).

ومن حكم وفوائد المرض:

١- استخراج عبودية الضراء، وهي الصبر، وعبودية السراء، وهي الشكر:

فتتقلب أحوال العبد بين المرض والصحة حتى يتبين صدق عبوديته لله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٣).

٢- تكفير الذنوب والسيئات: فالمرض سبب في تكفير خطاياك التي اقترفتها بقلبك وسمعك وبصرك ولسانك، وسائر جوارحك.
قال ابن عبد البر: (الذنوب تكفرها المصائب والآلام والأمراض، وهذا أمر مجتمِع عليه)^(٤).

(١) «تفسير الطبري» (١٧/٢٥).

(٢) انظر: «شفاء العليل» (ص ٥٢٥).

(٣) «صحيح مسلم» برقم (٢٩٩٩).

(٤) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣/٢٦).

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾

[الشورى: ٣٠].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرَ»^(١).

وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خير له: كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

ومن الأحاديث الكثيرة في بيان تكفير الأمراض للذنوب:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَّهَا»^(٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ حَاطِيَةٌ»^(٤).

٣- كتابة الحسنات ورفع الدرجات: فإذا صبر العبد على المرض فإنه يُثاب بكتابة الحسنات له، ورفع الدرجات، وحصول الأجور العظيمة، ففي

(١) «المعجم الصغير» للطبراني برقم (١٠٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥٢١).

(٢) «سنن الترمذي» برقم (٢٣٩٦)، وهو في «صحيح الجامع» برقم (٣٠٨).

(٣) رواه البخاري برقم (٥٦٤٨)، ومسلم برقم (٢٥٧١)، واللفظ له.

(٤) «سنن الترمذي» برقم (٢٣٩٩).

الحديث الصحيح: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيتَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(١).

وفي الحديث: «لَا يُصِيبُ مُؤْمِنًا نَكْبَةٌ مِنْ شَوْكَةٍ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، إِلَّا حُطَّتْ بِهِ عَنْهُ خَطِيئَةٌ، وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةٌ»^(٢).

٤- سبب في دخول الجنة: لا تُنال الجنة إلا بما تكرهه النفس، كما في الحديث: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»^(٣).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للمرأة التي تُصرع: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ»^(٤).
وفي الحديث القدسي: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»^(٥).

٥- النجاة من النار: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا، وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ وَعَكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْشُرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ، فِي الْآخِرَةِ»^(٦).

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٥٧٢).

(٢) «مسند أحمد» برقم (٢٥٢٦٤)، وهو في «صحيح الجامع» برقم (١٦٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٦٤٨٧)، ومسلم برقم (٢٨٢٢) واللفظ له.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٦٥٢)، ومسلم برقم (٢٥٧٦).

(٥) «صحيح البخاري» برقم (٥٦٥٣).

(٦) «سنن ابن ماجه» برقم (٣٤٧٠)، وهو في «الصحيحه» (٥٥٧).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعاً: «الْحَمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ»^(١).

٦- ردُّ العبدِ إلى ربه وتذكيرهُ بمعصيته، وإيقاظه من غفلته: فالمرض والمصائب تردُّ العبدَ الغافلَ عن ربه إليه، وتكفُّه عن معصيته؛ لأنه إذا ابتلاه الله بمرضٍ أو غيره استشعر ضعفه ودُّلُّهُ وفقره إلى مولاه، وتذكَّر تقصيره في حقه، فعاد إليه نادماً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَالَهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾^(٢) [الأنعام: ٤٢].

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: (فامتحنناهم بشدة الفقر والأسقام لعلهم يتضرعون إلَيَّ، ويُخلصوا لي العبادة)^(٣).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: (مصيبةٌ تُقبَلُ بها على الله، خيرٌ من نعمة تنسيك ذكر الله)^(٣).

٧- تذكيرك بِنِعَمِ اللهِ السابقة والحاضرة: فالمرض يُذكِّركُ بكثيرٍ من النعم التي تتمتع بها وأنت صحيح، فيكون ذلك التذكير سبباً في زيادة شكرك لربك، وفي هذا أعظم المنفعة للعبد.

٨- تذكيرك بحال إخوانك المرضى: الذين طالما غفَلت عنهم في حال الصحة والسلامة، فيدعوك ذلك إلى القيام بحقوقهم، وزيارتهم، وقضاء حوائجهم، والتخفيف عن مصائبهم ومواساتهم، والسعي في أسباب الشفاء

(١) «مسند البزار» برقم (١٨٢١)، وصححه الألباني في «الصحيح» (١٨٢١).

(٢) «تفسير الطبري» (٧/١٩٢).

(٣) «تسلية أهل المصائب» (ص ٢٢٦).

لهم، والدعاء لهم بالعافية، إلى غير ذلك.

٩- طهارة القلب من الأمراض: كالكبر والخيلاء، والعجب، والحسد،
وسائر الأمراض القلبية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمرٌ لا
يحس به إلا مَنْ فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان
ومشاقَّها)^{(١)(٢)}.

عناية الإسلام بالمريض:

أولى الإسلام عناية جلييلة بالمريض، وذكر الله تعالى الأجور العظيمة
للمصابرين على المرض ابتغاء مرضاة الله تعالى، وأن ما يصيب الإنسان في
هذه الدنيا الفانية ابتلاء من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ بِكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ١-٢].

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد
إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر،
فكان خيراً له»^(٣).

(١) «شفاء العليل» (ص ٥٢٤).

(٢) الشيخ إبراهيم بن عبدالله المزروعى، «نعمة المرض فوائده وأحكامه»، شبكة بينونة
للعلم الشرعية.

(٣) «صحيح مسلم»، كتاب الزهد والرفائق، باب: المؤمن أمره كله خير، (٤/٢٢٩٥)،
برقم (٢٩٩٩).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ، بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكََيْنِ، فَقَالَ: انظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُودَاهُ؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاؤُوهُ، حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلِيٍّ إِنْ تَوَفَيْتَهُ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفِيتُهُ أَنْ أُبَدَلَ لَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أَكْفَرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ»^(١).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١٥٦) وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية: (أخبر الله أن المؤمن إذا سلم الأمر إلى الله، ورجع واسترجع عند المصيبة، كُتِبَ لَهُ ثَلَاثُ خِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ: الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ - وَهِيَ مَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ - وَالرَّحْمَةُ، وَتَحْقِيقُ سَبِيلِ الْهُدَى)^(٢).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُودُ أَهْلَ الْعَافِيَةِ يَوْمَ

(١) أخرجه مالك في «الموطأ»، كتاب العين، باب: ما جاء في أجر المريض، (٢/٩٤٠)، برقم (٥).

(٢) «جامع البيان» للطبري، (٣/٢٢٣)، و«شعب الإيمان» للبيهقي، باب: في الصلوات، فضل المشي إلى المساجد، (٧/١١٧) برقم (٢٩١١).

(٣) «سنن الترمذي»، أبواب الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، (٤/١٨٠)، برقم (٢٣٩٩)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قُرِضَتْ في الدنيا بالمقاريض»^(١).

يقول ابن باز رَحِمَهُ اللهُ عن المريض الصابر: (له أجر عظيم إذا صبر واحتسب، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمْرُهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ: إِنْ أَصَابَتْهُ ضِرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ سِرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»، فالصبر كون الإنسان عند المرض لا يفعل ما يخالف الشرع: لا يشق ثوبًا، ولا ينوح، ولا يفعل ما حرمه الله، بل يصبر ويحتسب، ويتكلم بالكلام الطيب، هذا من الصبر، أما كونه يتشكى للناس: أنا كذا، أنا كذا، هذا خلاف الصبر، لكن... مجرد الخبر عن مرضه لا بأس به، كونه يخبر أنه أصابه كذا وأصابه كذا من غير شكوى للناس، أو يخبر الطبيب حتى يعالجه لا بأس، أما أن يفعل ما حرم الله من الصياح والنياحة، أو شق الثوب، أو لطم الخد، أو نتف الشعر، أو ما أشبه ذلك، هذا لا يجوز، نعم)^(٢).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: (وأصل المرض: السَّقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان؛ فأخبر الله جلّ ثناؤه أن في قلوب المنافقين مَرَضًا، وإنما عنى تَبَارَكَ وَتَعَالَى بخبره من مرض قلوبهم، الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد ولكن لما كان معلومًا بالخبر عن مرض القلب، أنه معنيٌّ به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد، استغنى بالخبر عن القلب بذلك، والكفاية عن تصريح

(١) «سنن الترمذي»، أبواب الزهد، باب: (٤ / ١٨١)، برقم (٢٤٠٢)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) «نور على الدرب»، موقع الشيخ.

الخبر عن ضمائرهم واعتقاداتهم، والمرض الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه: هو شكهم في أمر محمد وما جاء به من عند الله، وتحيرهم فيه... إلخ^(١).

زيارة المريض وفضلها والحث عليها:

ثبت في «الصحيحين» قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خمس تجب للمسلم على أخيه المسلم وذكر منها: عيادة المريض»، وفي لفظ: «حق المسلم على المسلم...». وقال البخاري: (باب وجوب عيادة المريض وروى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني»).

وهذا الحديث يدل على الوجوب، وقد يؤخذ منها أنها فرض كفاية كإطعام الجائع وفك الأسير، ونقل النووي الإجماع على أنها لا تجب^(٢). وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الشرح الممتع» (٥/١٧٣): (الصحيح أنها واجب كفايي، فيجب على المسلمين أن يعودوا مرضاهم). انتهى بتصرف.

فضل عيادة المريض:

وورد في فضلها أحاديث كثيرة، منها: عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»^(٣).

(١) «تفسير الطبري - جامع البيان» ت شاكر (٢٧٨).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٠/١١٧): يعني على الأعيان.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٨).

«خرقة الجنة»، أي: جناها.

شبه ما يحوزه العائد من ثواب بما يحوزه الذي يجتني الثمر.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِيبَ وَطَابَ مَمْسَاكَ وَتَبَوَّأَتْ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا»^(١).
وروى الإمام أحمد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا»^(٢).
وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٩٦٩) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمِيسِي، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُضْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٣).

وليست عيادة المريض خاصة بمن يعرفه فقط، بل هي مشروعة لمن يعرفه ومن لا يعرفه. قاله النووي في «شرح مسلم».

حد المريض الذي تجب عيادته:

هو المريض الذي يحبسه مرضه عن شهود الناس، أما إذا كان مريضاً ولكنه يخرج ويشهد الناس فلا تجب عيادته^(٤).

(١) حسنه الألباني في «صحيح الترمذي».

(٢) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٥٠٤).

(٣) صححه الألباني في «صحيح الترمذي». والخريف هو البستان.

(٤) «الشرح الممتع» لابن عثيمين (١٧١/٥).

الدعاء للمريض:

وينبغي أن يدعو للمريض بما ثبت في السنة: «لا بأس، طهور إن شاء الله»^(١).
ويدعو له بالشفاء ثلاثاً، فقد عاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن أبي وقاص
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: «اللهم اشف سعداً، ثلاثاً»^(٢).

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسح بيده اليمنى على المريض، ويقول:
«أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا
يُغَادِرُ سَقَمًا»^(٣).

ولأحمد وأبي داود أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ
أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ
إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»^(٤).

وينبغي أن يسأله عن حاله: كيف حالك؟ كيف تجدك؟ ونحو ذلك. فقد
ثبت ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥).

وثبت ذلك عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في صحيح البخاري لما عادت أبا بكر
وبللاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري (٥٦٥٩)، ومسلم (١٦٢٨).

(٣) رواه مسلم (٢١٩١).

(٤) صححه الألباني في «صحيح أبو داود».

(٥) رواه الترمذي (٩٨٣)، وحسنه الألباني.

وينفس له في الأجل، ويشهد لهذا من حيث المعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا بأس، طهور إن شاء الله»، فينبغي أن يهون عليه ما يجد، وييسره بحصول الشفاء والعافية إن شاء الله تعالى، فإن ذلك يطيب نفس المريض^(١).

من عناية الإسلام بالمريض تخفيف العبادات عليه: تخفيف الطهارة والصلاة:

قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: ومن وصفه أن دينه سهل سمح ميسر، لا إصر فيه، ولا أغلال، ولا مشقات ولا تكاليف ثقال). اهـ.

فمن سماحة الإسلام والتخفيف عن المريض أنه خفف عنه الطهارة فإذا لم يستطع التوضأ بالماء لشدة مرض أو تأخر برأ أو لقلّة ماء للشراب، فإن الإسلام جعل بدل الماء التيمم.

وإذا كان عنده مرض سلس بول: وهو مرض يجعل البول مستمر بشكل متقطع، فشرع الإسلام للمريض في هذه الحالة التوضأ لكل صلاة، ويقال على ذلك من كان يستعمل قسطرة بولية فإنه يتوضأ لكل صلاة والحمد لله تعالى، ولا يضره ما خرج من البول بعد ذلك.

وأخذ العلماء ذلك بالقياس على المستحاضة:

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (إذا استمر الدم بالمرأة فإنها تكون مستحاضة،

(١) انظر: «الشرح الممتع» لابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

وتصلي وتصوم ولو معها الدم ولو كان معها الدم، مثل صاحب السلس الذي يستمر معه البول دائماً ولا ينقطع إلا في أشياء يسيرة، يصلي على حسب حاله دائماً، ويستنجي إذا دخل الوقت ويصلي في الوقت الفريضة والنوافل، ويمس المصحف ويقرأ القرآن حتى يأتي الوقت الآخر كالمستحاضة سواء؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال للمستحاضة: «توضئي لكل صلاة»، والمستحاضة هي التي يستمر معها الدم ولا ينقطع إلا أشياء يسيرة؛ فهذه يقال لها: مستحاضة، فعليها أن تصلي ما فرض الله عليها وتصوم وتحل لزوجها؛ لأنها مبتلاة بهذا الدم المستمر»^(١).

وفي الصلاة خفف عن المريض القيام إن لم يستطع ويصلي حسب حاله:

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»^(٢).

هذا الحديث رواه البخاري عن ابن بريده عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة، فقال: «صَلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب».

والبواسير جمع باسور، وهو ورم في باطن المقعدة، والحديث، وإن كان الخطاب فيه لعمران بن حصين، فهو عام لكل مصلاً، وعليه، فلا تصح

(١) «نور على الدرب»، موقع الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ.

(٢) رواه البخاري.

الصلاة على جنب لمن يستطيع القعود، ولا تصح الصلاة من قعود لمن يستطيع القيام.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي رده على سؤال لمرضى يؤدون الصلاة على سررهم حيث لا يقدرّون على الحركة، ويصلون على غير طهارة، ومنهم من يصلي إلى غير القبلة، ما حكم صلاة هؤلاء المرضى؟ قال رَحِمَهُ اللهُ: (ينبغي أن نعلم القاعدة العامة في الشريعة التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي أنه على المسلم أن يتقي الله تعالى ما استطاع، فكل واجب يجب عليه لكن بقدر استطاعته، إذا عجز عنه سقط، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ لَهَا سَلِيمُونَ] ﴿١١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَبْنَا كِتَابَ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦٢].

وفي الحديث الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»، فهؤلاء المرضى الذين أشار إليهم الذين يصلون على سررهم وبثياب غير طاهرة وغير مستقبلي القبلة، كل هؤلاء إذا كانوا قد

فعلوا ما يستطيعون من الواجبات في صلاتهم فإن ما عجزوا عنه معذورون فيه غير مكلفين به ولا آثمين بتركه^(١).

في فريضة الصيام خفف الشرع على المريض الصيام:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ (٢/٢٧٦): (للمريض حالتان:

إحداهما: ألا يطيق الصوم بحال، فعليه الفطر واجبًا.

الثانية: أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة، فهذا يستحب له الفطر ولا

يصوم إلا جاهل). اهـ.

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ في «المغني» (٤/٤٠٤): (فإن تحمل المريض

وصام مع هذا، فقد فعل مكروهًا، لما يتضمنه من الإضرار بنفسه، وتركه

تخفيف الله تعالى، وقبول رخصته). اهـ.

(١) «فتاوى نور على الدرب»، موقع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي «الشرح الممتع» (٦/٣٥٢): (وبهذا نعرف خطأ بعض المجتهدين والمرضى الذين يشقّ عليهم الصوم وربّما يضرّهم، ولكنهم يابون أن يفطروا، فنقول: إن هؤلاء قد أخطأوا حيث لم يقبلوا كرم الله عَزَّجَلَّ، ولم يقبلوا رخصته، وأضرّوا بأنفسهم، والله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. اهـ.



الصحة في القرآن والسنة

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كَيْفِيَةِ تَعَامُلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ: (فَأَمَّا الْمَطْعَمُ وَالْمَشْرَبُ فَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَبْسَ النَّفْسِ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَغْذِيَةِ لَا يَتَعَدَاهُ إِلَى مَا سِوَاهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَضُرُّ بِالطَّبِيعَةِ جَدًّا وَقَدْ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا أحيانًا فَإِنَّ لَمْ يَتَنَاوَلْ غَيْرَهُ ضَعْفٌ أَوْ هَلَكٌ وَإِنْ تَنَاوَلْ غَيْرَهُ لَمْ يَقْبَلْهُ الطَّبِيعَةُ وَاسْتَضْرَبَ بِهِ فَقَصَرَهَا عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ دَائِمًا - وَلَوْ أَنَّهُ أَفْضَلَ الْأَغْذِيَةَ - خَطَرَ مُضْرِبٌ لَمْ يَأْكُلْ مَا جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ بَلَدِهِ بِأَكْلِهِ مِنَ اللَّحْمِ وَالْفَاكِهِةِ وَالْخَبِيزِ وَالتَّمْرِ وَغَيْرِهِ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ فِي هَدْيِهِ.

وإذا كان في أحد الطعامين كيفية تحتاج إلى كسر وتعديل كسرها وعدلها بضدها إن أمكن كتعديل حرارة الرطب بالبطيخ وإن لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير إسراف فلا تتضرر به الطبيعة.

وكان إذا عافت نفسه الطعام لم يأكله ولم يحملها إياه على كره وهذا أصل عظيم في حفظ الصحة فمتى أكل الإنسان ما تعافه نفسه ولا يشتهيها كان تضرره به أكثر من انتفاعه قال أبو هريرة: ما عاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ولم يأكل منه، ولما قدم إليه الضب المشوي لم يأكل منه فقيل له: أهو حرام؟ قال: «لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه».

فراعى عاداته وشهوته فلما لم يكن يعتاد أكله بأرضه وكانت نفسه لا تشتيه أمسك عنه، ولم يمنع من أكله من يشتهيه، ومن عاداته أكله.

وكان يحب اللحم وأحبه إليه الذراع ومقدم الشاة ولذلك سم فيه، وفي «الصحيحين»: أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه.

وذكر أبو عبيدة وغيره عن ضباعة بنت الزبير أنها ذبحت في بيتها شاة، فأرسل إليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أطعمينا من شاتكم فقالت للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما بقي عندنا إلا الرقبة وإني لأستحي أن أرسل بها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجع الرسول فأخبره، فقال: «ارجع إليها فقل لها: أرسلني بها فإنها هادية الشاة وأقرب إلى الخير وأبعدها من الأذى».

ولا ريب أن أخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع والعضد، وهو أخف على المعدة، وأسرع انضماماً، وفي هذا مراعاة الأغذية التي تجمع ثلاثة أوصاف: أحدها: كثرة نفعها وتأثيرها في القوى.

الثاني: خفتها على المعدة وعدم ثقلها عليها.

الثالث: سرعة هضمها وهذا أفضل ما يكون من الغذاء والتغذي باليسير من هذا أنفع من الكثير من غيره.

وكان يحب الحلواء والعسل وهذه الثلاثة - أعني: اللحم والعسل والحلواء - من أفضل الأغذية وأنفعها للبدن والكبد والأعضاء وللأغذاء بها نفع عظيم في حفظ الصحة والقوة ولا ينفر منها إلا من به علة وآفة.

وكان يأكل الخبز مآدوما ما وجد له إداما فتارة يأدمه باللحم ويقول: «هو سيد طعام أهل الدنيا والآخرة» رواه ابن ماجه وغيره، وتارة بالبطيخ وتارة بالتمر فإنه وضع تمره على كسرة شعير وقال: «هذا إدام هذه»، وفي هذا من تدبير الغذاء أن خبز الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على أصح القولين، فأدم خبز الشعير به من أحسن التدبير، لاسيما لمن تلك عاداتهم كأهل المدينة وتارة بالخل، ويقول: «نعم الإدام الخل»، وهذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر لا تفضيل له على غيره، كما يظن الجهال وسبب الحديث أنه دخل على أهله يوما فقدموا له خبزًا، فقال: «هل عندكم من إدام؟»، قالوا: ما عندنا إلا خل، فقال: «نعم الإدام الخل».

والمقصود: أن أكل الخبز مآدومًا من أسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدهما وحده، وسمي الأدم أدمًا؛ لإصلاحه الخبز، وجعله ملائمًا لحفظ الصحة، ومنه قوله في إباحته للخاطب النظر: «إنه أحرى أن يؤدم بينهما» أي: أقرب إلى الالتئام والموافقة، فإن الزوج يدخل على بصيرة فلا يندم.

وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها، ولا يحتمي عنها، وهذا أيضا من أكبر أسباب حفظ الصحة، فإن الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلدة من الفاكهة ما ينتفع به أهلها في وقته، فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم، ويغني عن كثير من الأدوية، وقل من احتمي عن فاكهة بلده خشية السقم إلا وهو من أسقم الناس جسمًا، وأبعدهم من الصحة والقوة.

وما في تلك الفاكهة من الرطوبات فحرارة الفصل والأرض وحرارة

المعدة تنضجها وتدفع شرها إذا لم يسرف في تناولها، ولم يحمل مها الطبيعة فوق ما تحتمله، ولم يفسد بها الغذاء قبل هضمه، ولا أفسدها بشرب الماء عليها، وتناول الغذاء بعد التحلي منها، فإن القولنج كثيراً ما يحدث عند ذلك، فمن أكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي كانت له دواء نافعا^(١).

آيات قرآنية في المحافظة على النفس:

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

[النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

تعريف حفظ النفس: سبق الإسلام التشريعات الدولية إلى تعريف حفظ النفس، وقد جاء تعريف العلماء له جامعاً مانعاً، مُتَّخِذاً عدَّة مستويات تدور كلها حول تحقيق هدف واحد، وهو حفظ النفس من الهلاك، ولعلَّ أجمع تعريف لها ما أورده الشاطبي رحمه الله بقوله: (وحفظ النفس حاصله في ثلاثة معانٍ: وهي: إقامة أصله بشرعية التناسل، وحفظ بقائه بعد خروجه من العدم إلى الوجود من جهة المأكل والمشرب؛ وذلك ما يحفظه من داخل،

(١) «زاد المعاد»، ابن القيم الجوزية (٤/١٩٨).

والملبس والمسكن؛ وذلك ما يحفظه من خارج، وجميع هذا مذكورٌ أصله في القرآن، ومُبيَّن في السُّنة، ومُكَمَّلُه ثلاثة أشياء: وذلك حِفْظُه عن وضعه في حرامٍ كالزُّنا؛ وذلك بأن يكون على النكاح الصحيح، ويُلحق به كلُّ ما هو من متعلقاته كالطلاق والخلع واللَّعان وغيرها. وحِفْظُ ما يتغذَّى به أن يكون ممَّا لا يضرُّ أو يقتل أو يفسد، وإقامة ما لا تقوم هذه الأمور إلاَّ به من الذبائح والصيد، وشرعية الحد، والقصاص، ومراعاة العوارض اللاحقة، وأشباه ذلك. وقد دخل حِفْظُ النسل في هذا القسم، وأصوله في القرآن، والسُّنة بَيَّنَّتْها^(١).

درجات المحافظة على النَّفس:

المحافظة على النفس لها ثلاث حالات:

الحالة الأولى: موقع السَّعة واليُسْر، فإذا كان الإنسان في مِثْلِ هذه الحالة العادية التي يُطبَّق فيها التَّشريع العام، فليقتصر على ما أُبيح له من أشياء وتصرفات كسبًا وتداولًا، ويقوم بكلِّ ما عليه من واجبات، ولا يجوز له أن يتعدَّى ذلك، وفي مِثْلِ هذه الحالة العادية أباح الله تعالى له جميع أنواع الحلال الطيب ما لم يثبت إضراره به؛ من طرق الكسب الحلال؛ كالزراعة والتجارة، والصناعة وأنواع الحِرْف، ولو كان الكسب قد وصل إليه بطريق الخلافة؛ كالميراث والوصية^(٢).

(١) «الموافقات» (٤/٢٧، ٢٨).

(٢) انظر: «تنقيح الفصول في الأصول»، لشهاب الدين القرافي (ص ٢٠٥).

وكذا المعاملات الخالية من الأضرار؛ كالبيع والشراء، والقرض، الإجارة، والمساقاة، والمزارعة، والجعالة، والشركة، والوكالة، والهدايا، والهبات، والوصايا والصدقات، والزكوات ونحو ذلك.

وطلب منه أن يقوم بجميع الواجبات العبادية، وحرّم عليه الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به، ونحو ذلك، مما حرّم تحريمًا صريحًا بأدلة شرعية؛ كشرب الخمر، وأكل الربا.

الحالة الثانية: موقع الحاجة، كأن يكون الإنسان في ضيق وحرّج وعُسْر، ولكنه لم يبلغ حدّ الضرورة؛ كالجائع الذي لو لم يجد ما يأكله لم يهلك، غير أنه يكون في جهد ومشقّة. في هذه الحالة خفف الله عنه ببعض الرُّخص، والرُّخصة: ما شرعه الله تعالى من الأحكام تخفيفًا في حالاتٍ خاصة تقتضي هذا التخفيف، وأمّا العزيمة: فهي ما شرعه الله أصالةً من الأحكام العامة التي لا تختصُّ بحالٍ دون حال، ولا بمكلفٍ دون مكلف كما هو الشأن في الحالة الأولى^(١).

الحالة الثالثة: موقع الضرورة، وخلاصة القول في تعريف الضرورة: أن تطرأ على الإنسان حالة من الخطر أو المشقة الشديدة؛ بحيث يخاف حدوث ضرر أو أذى بالنفس أو طرف من الأطراف أو بالعرض أو بالعقل، فيتعيّن أو يُباح له عندئذ الانتقال من الحالتين؛ الأولى والثانية إلى الحالة الثالثة، وذلك بفعل ما كان مُحَرَّمًا، أو بترك ما كان واجبًا، أو تأخيرهِ عن وقته؛ دفعًا

(١) انظر: «أصول الفقه»، لعبد الوهاب خلاف (ص ٧٨).

للضّرر عنه في غالب ظنّه ضمن قيود الشرع ومبادئه^(١).

وهذا يشمل ضرورة الغذاء والدواء والانتفاع بمال الغير، والقيام بفعلٍ أو الامتناع عنه تحت تأثير الرّهبة أو الإكراه، والدفاع عن النفس، وترك الواجبات الشرعية المفروضة أو تأخيرها عن وقتها، وهذا هو المعنى العام للضرورة^(٢). وقد وضعت الشريعة الإسلامية تدابير عديدة كقيلة بإذن الله بحفظ النفس من التلف والتعدي عليها، بل سدّت الطرق المفضية إلى إزهاقها أو إتلافها أو الاعتداء عليها، وذلك بسدّ الذرائع المؤدّية إلى القتل.

فمما جاءت به الشريعة لتحقيق هذا المقصد:

١ - تحريم الانتحار والوعيد الشديد لمن قتل نفسه:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا»^(٣).
قال السندي: («تردى» أي: سقط، «يتردى» أي: من جبال النار إلى أوديتها، «خالدًا مخلدًا» ظاهره يوافق قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مَّتَعَمِدًا﴾

(١) انظر: «مغني المحتاج»، (٤/٣٢٦).

(٢) انظر: «المقاصد العامة للشريعة الإسلامية»، د. يوسف حامد العالم (ص ٢٩١).

(٣) أخرجه البخاري في الطب، باب: شرب السم والدواء (٥٣٣٣)، ومسلم في الإيمان

(١٥٨) واللفظ له.

[النساء: ٤٣] الآية؛ لعموم المؤمن نفس القاتل أيضًا، لكن قال الترمذي: قد جاءت الرواية بلا ذكر خالدًا مخلدًا أبدًا، وهي أصح؛ لما ثبت من خروج أهل التوحيد من النار، قلت: إن صحَّ فهو محمول على من يستحل ذلك، أو على أنه يستحق ذلك الجزاء، وقيل: هو محمول على الامتداد وطول المكث، كما ذكروا في الآية والله تعالى أعلم.

«ومن تحسى»: آخره ألف، أي: شرب وتجرّع، والسمّ بفتح السين وضمّها وقيل: مثلثة السين: دواء قاتل يطرح في طعام أو ماء، فينبغي أن يحمل «تحسى» على معنى أدخل في باطنه ليعمّ الأكل والشرب جميعًا، «يجأ» بهمزة في آخره، مضارع: وجاءته بالسكين إذا ضربته بها^(١).

٢- النهي عن القتال في الفتنة:

عن الأحنف بن قيس قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل، فلقيني أبو بكر فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: قلت: أريد نصر ابن عمّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعني عليًّا- قال: فقال لي: يا أحنف، ارجع، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»، قال: فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه قد أراد قتل صاحبه»^(٢).

(١) «حاشية السندي» (٦٧/٤) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان، باب: ﴿وَإِنْ طَافَتَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٠)، ومسلم في الفتن

وأشراط الساعة (٥١٣٩) واللفظ له.

قال النووي: (معنى «تواجهها»: ضرب كل واحد وجه صاحبه، أي: ذاته وجملته، وأما كون القاتل والمقتول من أهل النار فمحمول على من لا تأويل له، ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه في النار معناه: مستحق لها، وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق^(١)).

٣- النهي عن الإشارة بالسلاح ونحوه من حديدة وغيرها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدْعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»^(٢).

قال النووي: (فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإن كان أخاه لأبيه وأمه»؛ مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد، سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال؛ ولأنه قد يسبقه السلاح كما صرح به في الرواية الأخرى، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام^(٣)).

٤- النهي عن السبّ والشتم المفضي للعداوة ثم التقاتل:

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

(١) «شرح صحيح مسلم» (١١ / ١٨).

(٢) خرجه مسلم في الإيمان (١٥٨).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (١٦ / ١٧٠).

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وقل -يا محمد- لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن؛ من المحاوراة والمخاطبة، وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: إن الشيطان يسوء محاوراة بعضهم بعضاً ﴿يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ يقول: إن الشيطان كان لآدم وذريته عدواً قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد وغروره إياه حتى أخرجته من الجنة)^(١).

عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(٢).

قال المناوي: («سباب» بكسر السين والتخفيف «المسلم» أي: سببه وشتمه، يعني التكلم في عرضه بما يعيبه، «فسوق» أي: خروج عن طاعة الله ورسوله، ولفظه يقتضي كونه من اثنين، قال النووي: فيحرم سب المسلم بغير سبب شرعي، «وقتاله» أي: محاربتة لأجل الإسلام كفر حقيقة، أو ذكره للتهديد وتعظيم الوعيد، أو المراد الكفر اللغوي وهو الجحد، أو هضم أخوة الإيمان)^(٣).

(١) «جامع البيان» (١٥/١٠٢) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله (٤٦)، ومسلم في الإيمان (٩٧).

(٣) «فيض القدير» (٤/٨٤) باختصار.

وفي جائحة كورونا تجلت حفظ النفس بوسائل عديدة منها:

في بداية الجائحة وانتشار الفيروس أصدر ولي الأمر حفظه الله تعالى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وفقه الله تعالى لكل خير، أمره للدولة أعزها الله تعالى بالتوحيد والسنة بعدة قرارات لحفظ النفس وصيانتها مما يسبب لها الخطر والهلاك في ظل هذه الجائحة ومنها:

١- منع الخروج من البيوت إلا للضرورة وفي أوقات معينة حفاظاً على أرواح الناس من انتشار العدوى.

٢- الحجر على المصابين بفايروس (كورونا كوفيد ١٩)؛ لتجنب انتشار العدوى.

٣- تطبيق الإجراءات الاحترازية من لبس الكمام والتباعد الجسدي تطعيم المجتمع بلقاح كورونا.

حفظ الله تعالى بلادنا وولاية أمرنا من كل شر وفتنة، وحفظ علينا عقيدتنا وبلادنا وولاية أمرنا وأمننا وكبت أعداءنا وجعل كيدهم في نحورهم إنه قوي عزيز.

آيات قرآنية وأحاديث نبوية في المحافظة على صحة الإنسان:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ۖ قُمْ فَاذْذُرْ ۚ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۚ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۚ وَالرُّجْزَ

فَاهْجُرْ ۚ﴾ [المدثر: ١-٥].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

١ - قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزَلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِنَّ فِي السَّنَةِ يَوْمًا يَنْزَلُ فِيهِ وَبَاءٌ»^(١).

٢ - عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عَشْتُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عَشْتُ؟»، قُلْتُ: قَدْ قُلْتُهُ [بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ]، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُِّمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُِّمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلَ صِيَامِ الدَّهْرِ»، فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فُصِّمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ»، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فُصِّمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ» وَفِي رِوَايَةٍ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ»، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

٣ - عن أبي كريمة المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يَكْرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ أَدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقِيمَنَّ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَتَلْتُّ لَطْعَامِهِ، وَتَلْتُّ لَشْرَابِهِ، وَتَلْتُّ لِنَفْسِهِ»^(٣).

(١) «صحيح مسلم».

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن. «أكلات» أي: لقم. وصححه الألباني في «صحيح

الجامع الصغير» (٥٦٧٥).

آيات قرآنية عن المأكولات المضرة صحة الإنسان:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ

وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ

يُلْوِحُونَ إِلَيْكُمْ لِئَلَّا يَهْتَمُّ لِجَدِّ لُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (ويدخل تحت هذا المنهي عنه، ما ذكر عليه اسم

غير الله كالذي يذبح للأصنام، وآلهتهم، فإن هذا مما أهل لغير الله به،

المحرم بالنص عليه خصوصا، ويدخل في ذلك، متروك التسمية، مما ذبح

لله، كالضحايا، والهدايا، أو للحم والأكل، إذا كان الذابح متعمدا ترك

التسمية، عند كثير من العلماء. ويخرج من هذا العموم، الناسي بالنصوص

الأخر، الدالة على رفع الحرج عنه، ويدخل في هذه الآية، ما مات بغير ذكاة

من الميتات، فإنها مما لم يذكر اسم الله عليه).

ما الحكمة من تحريم الميتة؟

الجواب كما ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: (اعلم أن حكمة

تحريم الميتة فيما أرى هي أن الحيوان لا يموت غالبا إلا وقد أصيب بعلة

والعلل مختلفة وهي تترك في لحم الحيوان أجزاء منها فإذا أكلها الإنسان قد

يخالط جزءا من دمه جراثيم الأمراض، مع أن الدم الذي في الحيوان إذا

وقفت دورته غلبت فيه الأجزاء الضارة على الأجزاء النافعة، ولذلك شرعت الزكاة لأن المذكى مات من غير علة غالباً ولأن إراقة الدم الذي فيه تجعل لحمه نقياً مما يخشى منه أضرار.

ومن أجل هذا قال مالك في الجنين: إن ذكاته ذكاة أمه؛ لأنه لاتصاله بأجزاء أمه صار استفراغ دم أمه استفراغاً لدمه ولذلك يموت بموتها فسلم من عاهة الميتة وهو مدلول الحديث الصحيح «ذكاة الجنين ذكاة أمه»، وبه أخذ الشافعي، وقال أبو حنيفة لا يؤكل الجنين إذا خرج ميتاً فاعتبر أنه ميتة لم يذك، وتناول الحديث بما هو معلوم في الأصول، ولكن القياس الذي ذكرناه في تأييد مذهب مالك لا يقبل تأويلاً). اهـ.

ولقد قام الشيخ جمال بن فريحان الحارثي رَحِمَهُ اللهُ بعمل بحث فقهي «أسباب تحريم أكل الميتة شرعاً وربطها بالتأج الطبية»:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين.. أما بعد:
إن المؤمنين يؤمنون أن ما جاء في هذا القرآن إنما هو الحق المطلق الذي لا يتغير ولا يتبدل... ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].

نريد أن نبين الأسباب في تحريم أكل المُنْخَنَقَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ ونربط أسباب التحريم ما توصل إليه الطب الحديث في ما يترتب على أكل الإنسان لهذه الأنواع المذكورة من الأمراض التي لا تحصى.

وسأقوم بذكر كل سبب لهذه الأنواع الخمسة السبب الشرعي بالتحريم
والنتائج الطبية المترتبة في اكتشاف أكل لحوم هذه الأنواع الخمسة
المذكورة في القرآن.

قال الله جلَّ وعلا: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ
وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

١- جاء في «تفسير السعدي» رحمه الله في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ
وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ فِسْقٌ لِلْيَوْمِ بِبَيْسِ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

هذا الذي حولنا الله عليه في قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]، واعلم
أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر
الموجود في المحرمات، وقد يبين للعباد ذلك وقد لا يبين.

فأخبر أنه حرم ﴿الْمَيْتَةَ﴾، والمراد بالميتة: ما فُقدت حياته بغير ذكاة
شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها المضر
بآكلها. وكثيراً ما تموت بعلة تكون سبباً لهلاكها، فتضر بالآكل.

ويستثنى من ذلك ميتة الجراد والسمك، فإنه حلال.

﴿وَالدَّمُ﴾ أي: المسفوح، كما قيد في الآية الأخرى.

﴿وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾؛ وذلك شامل لجميع أجزائه، وإنما نص الله عليه من بين سائر الخبائث من السباع؛ لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن الله أحله لهم. أي: فلا تغتروا بهم، بل هو محرم من جملة الخبائث.

﴿وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذكر عليه اسم غير الله تعالى، من الأصنام والأولياء والكواكب وغير ذلك من المخلوقين. فكما أن ذكر الله تعالى يطيب الذبيحة، فذكر اسم غيره عليها، يفيدها خبثاً معنوياً؛ لأنه شرك بالله تعالى.

﴿وَالْمُنْخَقَةُ﴾، أي: الميتة بخنق، بيد أو حبل، أو إدخالها رأسها بشيء ضيق، فتعجز عن إخراجها حتى تموت.

﴿وَالْمَوْقُودَةُ﴾، أي: الميتة بسبب الضرب بعصا أو حصى أو خشبة، أو هدم شيء عليها، بقصد أو بغير قصد.

﴿وَالْمُتَرَدِّيَّةُ﴾، أي: الساقطة من علو، كجبل أو جدار أو سطح ونحوه، فتموت بذلك.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾، وهي: التي تنطحها غيرها؛ فتموت.

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾: من ذئب أو أسد أو نمر، أو من الطيور التي تفترس

الصيد، فإنها إذا ماتت بسبب أكل السبع، فإنها لا تحل.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَرْنَا﴾: راجع لهذه المسائل، من منخقة، وموقودة،

ومتردة، ونطيحة، وأكلة سبع، إذا ذكيت وفيها حياة مستقرة لتتحقق الذكاة

فيها؛ ولهذا قال الفقهاء: (لو أبان السبع أو غيره حشوتها، أو قطع حلقومها،

كان وجود حياتها كعدمه، لعدم فائدة الذكاة فيها)، وبعضهم لم يعتبر فيها إلا وجود الحياة، فإذا ذكأها، وفيها حياة حلت، ولو كانت مبانة الحشوة، وهو ظاهر الآية الكريمة. انتهى^(١).

ولو تأملتم ما سبق ستعلمون أن:

المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لا تحرم إذا تم تذكيتها؛ - قبل أن تفارق - الحياة؛ استناداً إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾.
أما إذا ماتت المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة قبل (التمكن) من تذكيتها فهي حرام؛ لأنها ميتة.

وقال ابن حزم في «المحلى»^(٢): (وكل ما تردى أو أصابه سبع أو نطحه ناطح، أو انخفق فانتشر دماغه، أو انقرض مصرانه، أو انقطع نخاعه، أو انتشرت حشوته فأدرك وفيه شيء من الحياة فذبح أو نحر حل أكله، وإنما حرم تعالى ما مات من كل ذلك. برهانه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، فاستثنى من ذلك كله ما أدركت ذكاته، ولا نبالي من أيهما مات قبل؛ لأن الله تعالى لم يشترط ذلك بل أباح ما ذكينا قبل الموت، فلو قطع السبع حلقتها نحرت وحل أكلها، ولو بقي في الحلق موضع يذبح فيه ذبحت وحل أكلها). انتهى.

(١) «تفسير ابن سعدي».

(٢) ابن حزم (٣/٢٠)، باب التذكية.

وجاء التفصيل في الآية الكريمة بذكر أنواع الميتة:

ما مات حتف أنفه، أو نتيجة سبب من الأسباب المذكورة؛ ففي النهاية الحكم بالحرمة يعم الجميع؛ لعللة الموت بلا تذكية.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ فِي «المغني»: (٣٢٢ / ٩): (والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وأكيلة السبع، وما أصابها مرض فماتت به، محرمة، إلا أن تُدرك ذكاتها؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، وفي حديث جارية كعب أنها أصيبت شاة من غنمها، فأدركتها، فذبحتها بحجر، فسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «كُلوها». فإن كانت لم يبق من حياتها إلا مثل حركة المذبوح، لم تبح بالذكاة.

وإن أدركها وفيها حياة مستقرة، بحيث يمكنه ذبحها، حلت؛ لعموم الآية والخبر (ولأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يسأل ولم يستفصل).

وقال إسماعيل بن سعيد: سألت أحمد عن شاة مريضة، خافوا عليها الموت، فذبحوها، فلم يعلم منها أكثر من أنها طرفت بعينها، أو حركت يدها أو رجلها أو ذنبها بضعف، فنهر الدم؟ قال: فلا بأس به.

وقال أحمد في بهيمة عقرت بهيمة حتى تبين فيها آثار الموت إلا أن فيه الروح يعني فذبحت، فقال: إذا مصعت بذنبها وطرفت بعينها وسال الدم فأرجو إن شاء الله أن لا يكون بأكلها بأس). انتهى.

وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي ذئب عدا على شاة فعقرها فوق قصبها

بالأرض فأدركها فذبحها بحجر قال: (يلقي ما أصاب الأرض ويأكل سائرها)^(١).

ويجوز الانتفاع الميتة بجلدها بعد ذبحه عند بعض الفقهاء فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ مَرَّ بِشَاةٍ مَيْتَةٍ فَقَالَ: (هَلَّا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا بِهَا)، قَالُوا إِنَّهَا مَيْتَةٌ. قَالَ (إِنَّمَا حُرِّمَ أَكْلُهَا)^(٢).

(الإيهاب): الجلد.

مستفاد من البحث الشرعي في أسباب تحريم أكل هذه الأنواع الخمسة:

١ - الموت هو سبب التحريم بحيث لو لاقت حتفها دون تذكية فإن الدم يحتقن في طيات اللحم والعروق.

٢ - لأن الدم مضر بالصحة أكله يسبب أمراض عديدة.

النتائج الطبية المعاصرة التي اكتشفها الأطباء في أكل هذه الأنواع، وما يترتب عليه من أمراض:

• المنخقة: هي التي تموت بالخنق، إما قصداً، وإما عرضاً كأن تتعثر مثلاً في وثاقها فتموت، وقد ثبت علمياً أن الحيوان إذا مات مختنقاً، أي بمنع الأوكسجين في الدخول إلى رئتيه فإنه يتراكم في جسمه غاز ثاني أكسيد الكربون السام، كما تتراكم جميع الإفرازات السامة التي تخرج عادة مع

(١) «محلّى ابن حزم» كتاب التذكية، (مسألة ١٠٥٨ - ١٠٦٧).

(٢) متفق عليه.

التنفس في عملية الزفير، وهذه المواد إذا احتبست ولم تخرج عادت لتمتص في الجسم ويحدث التسمم في كل الأنسجة، فتؤدي إلى الوفاة (فيتأثر اللحم بهذا التسمم)، وبالتالي فإن أكل لحوم هذه الحيوانات معناه انتقال هذه المواد السامة إلى جسم أكلها فتسبب أمراضا خطيرة، فأيسر كثيرا من علاجها أن نتجنب أكل هذه اللحوم، كما أمرنا العليم الحكيم تعبدًا.

• **الموقوذة:** هي التي تضرب بعصا أو خشبة أو حجر حتى الموت، وهذه الحيوانات -موتها بهذه الطريقة- تفسد لحومها لتلف الأنسجة، ولاحتوائها على الكثير من الميكروبات؛ نتيجة احتقان الدم فيها، وعدم ذبحها بالطريقة التي أمر بها الله جَلَّ وَعَلَا؛ يعرضنا للعقوبة العاجلة والآجلة.

• **المتردية:** هي التي تموت من السقوط من مكان عال، أو تسقط في بئر، أو من جراء حادث؛ كصدمة سيارة، وهذه الحيوانات تفسد لحومها وتتلغ ولا تكون صالحة لغذاء البشر؛ لما تحتويه من جراثيم وميكروبات تسبب أمراضًا شتى.

• **النطيحة:** هي التي تموت بسبب نطح حيوان آخر لها، (أو ارتطام جسمها بشيء أثناء مشيها وجريها يؤدي إلى هلاكها وموتها)، ولحومها تحتوي على ميكروبات مختلفة؛ نتيجة موتها بهذه الطريقة، وعدم تخلصها من الدماء الفاسدة، وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (النطيحة هي ما نطحت فماتت فما أدركته يتحرك بذنبه أو بعينه، فاذبح وكل).

• ما أكل السبع: وقد حرمت لحوم ما أكل السبع لحكمة إلهية عظيمة، اكتشف الطب الحديث جانباً منها، حيث ثبت أن الجراثيم والميكروبات التي تكون في أظافر السبع حين تنهش فريستها تنتقل إليها، وتسبب أمراضاً لمن يأكل لحومها بعد ذلك، كما أن السبع أو الحيوانات البرية بشكل عام قد تكون مصابة بمرض تظهر آثاره في فمه ولعابه، وينتقل بدوره إلى جسم الفريسة، فتسبب في أضرار بالغة لآكل لحومها.

تحريم الدم:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ [البقرة: ١٧٣].
وقال جلّ وعلا: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣].

فلتتعرف أولاً على وظيفة الدم في جسم الكائن الحي:

إن الدم يقوم في جسم الكائن الحي بوظيفتين:

الأولى: أنه ينقل المواد الغذائية التي تمتص من الأمعاء مثل البروتينات والسكريات والدهون إلى أعضاء الجسم وعضلاته، إلى جانب حمله للفيتامينات والهرمونات والأوكسجين وجميع العناصر الحيوية الضرورية.
والثانية: هي حمل إفرازات الجسم الضارة في جسم الحيوان؛ كي يتخلص منها مع البول أو العرق أو البراز. فإذا كان الحيوان مريضاً، فإن الميكروبات تتكاثر عادة في دمه؛ لأنها تستعمله كوسيلة للانتقال من عضو

إلى آخره، كما أن إفرازات الميكروب وسمومه تنتقل عن طريق الدم أيضًا، وهنا يكمن الخطر...؛ لأنه إذا شرب الإنسان الدم، فستنتقل إليه كل هذه الميكروبات وإفرازاتها، وتتسبب في أمراض كثيرة مثل ارتفاع البولينا في الدم، مما يهدد بحدوث فشل كلوي، أو ارتفاع نسبة الأمونيا في الدم وحدوث غيبوبة كبدية...، وكثير من الجراثيم التي يحملها الدم تحدث في المعدة والأمعاء تهييجًا في الأغشية، مما يسبب أمراضًا كثيرة لكل هذه الأسباب حتم الإسلام الذبح الشرعي الذي يقتضي تصفية دم الحيوان بعد ذبحه. وكذا حرم الله شرب الدم أو دخوله بأي شكل من الأشكال إلى الغذاء الآدمي، وهذا قبل أن يخترع الميكروسكوب، وقبل أن يعرف الإنسان أي شيء عن الجراثيم والميكروبات؛ فسبحان العليم الحكيم^(١). انتهى.

آيات قرآنية عن المأكولات المفيدة لصحة الإنسان:

قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قُطْعٌ مَّتَّجُورَاتٌ وَحَتَّتْ مِّنْ أَعْنَبٍ وَرَزَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحَدِيدٍ وَنُفِضْلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

قال تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۗ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۚ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۚ وَفَلَكَهًا وَآبَا ۚ مَتَاعًا لِّكُمُ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۗ ﴾ [عبس: ٢٤].

(١) (الطب الوقائي الإسلامي - محرمات غذائية)، قام بتنسيق وجمع البحث/ أم عبدالعزيز

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۗ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۗ ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۗ ﴾ ﴿ لما ذكر - جل ثناؤه - ابتداء خلق الإنسان، ذكر ما يسر من رزقه؛ أي فلينظر كيف خلق الله طعامه. وهذا النظر نظر القلب بالفكر؛ أي ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، ليستعد بها للمعاد. وروي عن الحسن ومجاهد قالا: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۗ ﴾، أي: إلى مدخله ومخرجه. وروى ابن أبي خيثمة عن الضحاك بن سفيان الكلابي قال: قال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا ضحاك ما طعامك؟» قلت: يا رسول الله! اللحم واللبن؛ قال: «ثم يصير إلى ماذا؟» قلت إلى ما قد علمته؛ قال: «فإن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا». وقال أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن مطعم ابن آدم جعل مثلاً للدنيا وإن قَزَحَهُ وَمَلَّحَهُ، فانظر إلى ما يصير»^(١).

وعن الأطعمة المفيدة لصحة الإنسان يقول الأستاذ الدكتور: أكرم زين العابدين محمود محمد حمدي - جامعة المنيا - جمهورية مصر العربية:

(أجمع خبراء الأغذية في العالم في دراستهم المستفيضة أن ٧٠ في المئة

(١) «تفسير القرطبي».

قَزَحَهُ: تَوَبَّلَهُ، من القَزَح، وهو التابل الذي يطرح في القدر؛ كالكمون والكزبرة ونحو ذلك. «المسند» للشاشي.

من الأمراض هي نتيجة الجهل بفوائد ومضار ما يتناوله الإنسان، وأن الوجبات الرئيسية اليومية يجب أن تبدأ بالفواكه والخضار قبل الطعام. سخر لنا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في أرضه من الطعام بصنوف أنواعه ما يحتاجه الجسم من الفيتامينات والأملاح والمعادن والبروتينات والنشويات وأن ما اكتشف اليوم أنبأ به تعالى في القرآن الكريم قبل ١٤٠٠ عام؛ إذ جاء في سورة الواقعة: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الآيتان: ٢٠-٢١]، أي: أن الفاكهة مقدمة على الطعام، على رغم أن لحم الطيور يُعد قيمة غذائية أفضل من غيره من اللحوم، ونُشر حديثاً أن سبب طول أعمار أهل التبت هو تناولهم الفواكه قبل الطعام.

والمتمأمل في كتاب الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يقف مسبحاً لإعجازه؛ لأنه أحصى كل شيء عدداً بما في ذلك أنواع الطعام والشراب، فقال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَايَّتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف: ٣٧]، ونبهنا سُبحَانَهُ وَتَعَالَى إلى فوائد بعض الأطعمة والأشربة التي سخرها لنا، وبدأ بالماء الذي هو عصب الحياة، والذي ورد ذكره في القرآن الكريم (٦٤) مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ولم نسمع يوماً أن عالماً قال بمضار الماء، بل على العكس من ذلك فقد أثبت العلماء أن أفضل الشراب على الإطلاق هو الماء، فهو يغسل الكلى، ويساعد الكبد على امتصاص السموم من الجسم، ويساعد في عملية الهضم.

وإذا عرف العلم الحديث فوائد الخضراوات والفواكه، فقد ذكرها
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ، مِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ وَعَبَبًا
وَفَضًّا ۗ وَرِيَّةً وَأَنْخَلًا ۗ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۗ وَفِكَهَةً وَأَبَّأًا ۗ﴾ [عبس: ٢٧-٣١].

والقضب: ما يؤكل من النبات أخضر غصًا طريًا، ولا يحتاج إلى معالجة
أو طبخ.

ثم ننتقل إلى الحبوب والتي ذكرت مجملة وتفصيلًا منها قوله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۗ﴾
[البقرة: ٦١]، والبقل: هو ما أنبتته الأرض مما لا ساق له من الخضراوات
الورقية والجذرية والساقية، ومن البقول الثوم والبصل التي فوائدها لا تعد
ولا تحصى، والفوم المذكور في الآية هو الثوم... وقد اكتشف العلماء أن
استهلاك الثوم بشكل كبير في إسبانيا كان وراء قلة حالات الإصابات
بأمراض القلب وتصلب الشرايين عما هو عليه في دول العالم كافة، وللبصل
أيضًا منافع طبية لا تحصى؛ لأنه قاتل للجراثيم، ومقوٍ للشهوة الجنسية، كما
أنه مقوٍ للجهاز الهضمي ومنظف للأمعاء.

وورد ذكر الحبوب في القرآن الكريم (١٢) مرة منها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ومن الحبوب التي تكون في السنابل القمح
والشعير، ولها فوائد غذائية عظيمة، والعدس من البقول التي لها الكثير من الفوائد
الغذائية أهمها احتواؤه على مادة الحديد، ومن أنواع الخضار التي ذكرت في

القرآن الكريم أيضاً اليقطين؛ إذ جاء قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَّقِطِينَ﴾ [الصفات: ١٤٦]، الغني بفيتامين (أ، ب)، وحوامض اللوسين النيرورزين والبيوزين، وخواصه عدة، والريحان الذي نزل فيه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَرْوَجٌ وَرِيحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] (فروج وريحان)، هو اسم لأنواع كثيرة، ومنقوعة له فوائد جمّة منها: تنشيط الهضم، ومسكن للتشنجات، وطارد للأرق.

وعودة إلى الفاكهة التي ورد ذكرها مجتمعة (١٤) مرة منها: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، ومن الفواكه الوارد ذكرها بالقرآن الكريم العنب، فقد ورد ذكره إحدى عشرة مرة منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِمَّا شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [يُتِبْتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] [النحل: ١٠-١١]، وقشر العنب يحتوي على مادة «ريزا فيترول» التي أثبتت فعاليتها في الوقاية من الأمراض الخبيثة، وأكله مع بذره يطرد معظم السموم من جسم الإنسان، وعصيره مفيد في تفتيت حصوات الكلى التي تتكون لدى الإنسان، وذكر التين في قوله تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ [التين: ١]، الذي يقال: إنه أصل غذاء الرياضيين لفوائده الهائلة، والرمان الذي ورد ذكره ثلاث مرات والذي شرابه يشفى من عسر الهضم، والعديد من الأمراض الصدرية ومقوٍ للقلب، أما الزيتون الذي ورد ذكره ست مرات فهو فاكهة وإدام، فوائده وفوائده زيتية مهمة.



فتأثير زيتته مزدوج: فهو ينقص من الكولسترول الضار، في حين أنه يحافظ على مستوى عالٍ للكولسترول المفيد، وبذلك فهو يحمي الإنسان من أمراض الشرايين القلبية، ويقلل من الذبحة الصدرية «الخنق الصدري»، ومن جلطة القلب «العضلة القلبية»، كما أنه مفيد في تخفيض ضغط الدم والسكر لدى المصابين به.

والنخل بأنواعه العديدة، ذكر (٢٠) مرة في القرآن الكريم، وفي ثمره من الفوائد والسكريات ما يغني عن الكثير من الطعام. والعجوة هي نوع من التمر ونخلها يسمى لينة، والتي قال فيها تعالى: ﴿مَا أَقْطَعْتُمْ مِنْ لَيْتَةٍ﴾ [الحشر: ٥].

ذكر تعالى الموز في كتابه العزيز في قوله: ﴿وَوَلَّجَ مَنُصُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩]، والموز يعد نظامًا غذائيًا متكاملًا؛ لهذا ينصح الأطباء الأمهات بإطعام أطفالهن الموز في السنين الأولى من أعمارهم؛ لتنشئة أجسامهم على الوجه الأمثل، كما أن الموز مفيد جدًا للشهوة الجنسية عند الذكر والأنثى، وهذا بعد ملاحظة علماء البيئة أن القروود تتساند بين ذكورها وإناثها أضعاف ما تفعله الحيوانات الأخرى، بسبب تناولها فاكهة الموز، والموز يعتبر من أهم الأطعمة التي تقوي الذاكرة عند الإنسان.

قال تعالى في السورة نفسها: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨].

والسدر: هو شجر النبق، وهي شجرة من الفصيلة السدرية قليلة الارتفاع، وثمرتها النبق حلوة المذاق، وتنمو في بعض دول شمال إفريقيا...

يقول من تناولها: «إنها تعطي طاقة كبيرة للجسم»، كما ذكر الزنجبيل في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧]، وفوائد الزنجبيل كثيرة، منها أنه يؤثر على الجسم فيزيد من إنتاج وانتشار مجموعة مرسلات الاستجابة البيولوجية المسماة (إيكوسنويدز)، التي تعمل كوسيط في تقوية جهاز المناعة عند الإنسان.

وبعد ألا نستعيز بالقرآن الكريم عن بعض ما يدخل في جوفنا من الأطعمة التي لا تسمن ولا تغني من جوع؟. انتهى^(١).

أحاديث نبوية في الوقاية من المرض وتعزيز صحة الإنسان:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزُلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَطٌّ، أَوْ سَقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ». وفي رواية: «فَإِنَّ فِي السَّنَةِ يَوْمًا يَنْزُلُ فِيهِ وَبَاءٌ»^(٢).

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمَفْهَمِ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ»:

(قوله: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ»؛ جميع أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة الدنيوية، كقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وليس الأمر الذي قُصِدَ بِهِ الْإِجَابُ، وَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ الْوَبَاءِ، بَلْ قَدْ جَعَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَصُولِيِّينَ قِسْمًا مُنْفَرِدًا بِنَفْسِهِ عَنِ الْوَجُوبِ وَالنَّدْبِ). انتهى.

(١) موقع الدكتور أكرم زين العابدين على الشبكة بتصرف.

(٢) «صحيح مسلم».

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: (وذكر العلماءُ للأمرِ بالتَّغْطِيَةِ فوائد، منها الفائدتان اللتان وردتا في هذه الأحاديث، وهما: صيانته مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَكْشِفُ غَطَاءً، وَلَا يَحُلُّ سَقَاءً، وَصِيَانَتُهُ مِنَ الْوَبَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ فِي لَيْلَةٍ مِنَ السَّنَةِ. وَالْفَائِدَةُ الثَّلَاثَةُ: صِيَانَتُهُ مِنَ النِّجَاسَةِ وَالْمَقْذِرَاتِ. وَالرَّابِعَةُ: صِيَانَتُهُ مِنَ الْحَشْرَاتِ وَالْهُوَامِ، فَرُبَّمَا وَقَعَ شَيْءٌ مِنْهَا فِيهِ، فَشَرِبَهُ وَهُوَ غَافِلٌ، أَوْ فِي اللَّيْلِ؛ فَيُتَضَرَّرُ بِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)^(١). انتهى.

ثانيًا: إذا نسي المسلم الإِنَاءَ بدون غطاء، فإنه يستعمل ما فيه من طعام أو شراب ولا يرميه، وهذا ما يشير إليه حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَسْقَى، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا نَسْقِيكَ نَبِيذًا؟ فَقَالَ: «بَلَى». قَالَ: فَخَرَجَ الرَّجُلُ يَسْعَى، فَجَاءَ بِقَدَحٍ فِيهِ نَبِيذٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا حَمْرَتُهُ وَلَوْ تَعَرَّضُ عَلَيْهِ عُوْدًا!» قَالَ: فَشَرِبَ)^(٢).

وقال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (وشربه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإِنَاءِ الَّذِي لَمْ يُخَمَّرْ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ مَا بَاتَ غَيْرَ مُخَمَّرٍ، وَلَا مُغَطَّى أَنَّهُ لَا يَحْرَمُ شَرْبَهُ، وَلَا يَكْرَهُ)^(٣). انتهى. حَمْرَتُهُ: والتخمير معناها: التغطية، تغطية الإِنَاءِ. انظر: «لسان العرب».

(١) من «شرح مسلم» (١٣/٢٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٠١١).

النبيذ: ما يلقي فيه تمر أو زبيب ونحوهما؛ ليحلوا به الماء وتذهب ملوحته ثم يترك حتى يشتد. انظر: «الحاوي» للماوردي (١٣/٤٠٣)، و«المبدع» لابن مفلح.

(٣) من «المفهم» (٥/٢٨٤).

ولأن السنة لم تأمر إلا بتغطية الأواني. قال أبو داود رَحِمَهُ اللهُ: (قلت لأحمد: الماء المكشوف يتوضأ منه؟ قال: إنما أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَغْتُي -يعني: الإناء- لم يقل: لا يتوضأ به)^(١). انتهى.

فالذي ينبغي للمسلم أن يتوكل على الله تعالى، ويتناول ما في الإناء، ولا يرميه لأجل الشك.

وينبغي أيضاً أن يواظب على أدعية الصباح والمساء؛ فهي حصن له من كل ما يضر في الدين والدنيا؛ ومن ذلك:

عَنْ أَبِي بَنْ بِنِ عُمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»^(٢).

ثالثاً: الأمر «غَطُّوا الْإِنَاءَ»، الإناء هنا قد جاء مفسراً في روايات أخرى بأن المقصود منه ما فيه من الطعام والشراب.

عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَطْفُوا الْمَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَغَلَّقُوا الْأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وَخَمَّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ -وَأَحْسِبُهُ قَالَ- وَلَوْ بَعُودٍ تَعَرَّضُهُ عَلَيْهِ»^(٣).

(١) من «مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني» (ص ٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٨) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٥٠٨٨).

(٣) رواه البخاري (٥٦٢٤).

لكن ورد في لفظ لمسلم: «لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ»؛ وهذا قد يشمل -بظاهره-: الإناء الفارغ، أيضاً.

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: (يظهر أن المراد من تخمير الإناء: أن فيه شيئاً. ويشهد له: رواية هَمَّامٍ وعطاء، عن جابر في حديث ذكره: «خَمَّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ»، قال هَمَّامٌ: وَأَحْسَبُهُ: (ولو بعود)^(١)).

ويليق بالظاهرية أن لا يخصوه بذلك، إذ ليس في لفظ هذا الحديث تخصيصٌ بإناءٍ فيه شيء. وليس هذا، ولا بدَّ، من مُشَنَّعات الظاهرية، فإنه سيأتي التعليل بنزول وباءٍ في ليلة في السنة، وأنه لا يمر بإناءٍ ليس عليه غطاءً، أو سقواءٍ ليس عليه وكاءٌ، إلا نزل فيه من ذلك الوباء.

فإذا كان هذا هو العلة فلا يختص ذلك بإناءٍ فيه شيء، فقد يكون نزولُ الوباء في الإناء الفارغ مُضِرّاً عند استعمال شيء يكون بعد ذلك فيه...^(٢) انتهى.

وقد روى حديث جابر عند مسلم أيضاً (٢٠١٢) بلفظ: جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْحَدِيثِ غَيْرَ أَنَّهُ، قَالَ: «وَأَكْفَمُوا الْإِنَاءَ، أَوْ خَمَّرُوا الْإِنَاءَ».

قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَكْفَمُوا الْإِنَاءَ» مَعْنَاهُ: أَقْلِبُوهُ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ خَمَّرُوا الْإِنَاءَ» يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ شَكًّا مِنَ الرَّاوي.

(١) أخرجه البخاري.

(٢) من «شرح الإلمام» (٢/٥٨١).

وَالْأَظْهَرُ: أَنَّهُ لَفْظُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ أَكْفُوهُ إِنْ كَانَ فَارِغًا، أَوْ خَمْرُوهُ إِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَمْنَعُ الشَّيْطَانَ أَنْ يَتَنَاوَلَ شَيْئًا مِمَّا فِي الْمَمْلُوءِ أَوْ يَتَّبِعَ شَيْئًا مِمَّا فِي الْفَارِغِ مِنْ بَقِيَّةٍ، أَوْ رَائِحَةٍ^(١). انتهى.

وقد جاء الأمر بتغطية الآنية مع غلق الباب في نص واحد، مما يدل على أن غلق الباب وحده لا يكفي.

عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «عَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السَّرَاحَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدَكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْزُضَ عَلَيَّ إِنَائِهِ عُدًّا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ»^(٢).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فلما حدث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشأنهم قال: «إن هذه النار عدو لكم فإذا نمتم فأطفئوها»^(٣).

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «من نام وبيده غمر قبل أن يغسله فأصابه شيء فلا يلو من إلا نفسه»^(٤).

«غمر» - بفتح الغين والميم - أي: دسم.

(١) من «المنتقى شرح الموطأ» (٧/٢٤١).

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) صحيح لغيره. «الصحيحة».

قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ: هذا حديث حسن على شرط مسلم.

قال الشيخ عبدالمحسن العباد في شرحه لهذا الحديث في «سنن أبي داود»: قوله: (باب في غسل اليدين بعد الطعام)، أي: أنه مستحب؛ وذلك لإزالة الدسومة والشيء الذي علق باليد بعد الطعام فهو يغسله؛ لئلا يتعرض لما لا يحمد عاقبته، ولئلا يجعل هذه الرائحة التي في يده يشمها الناس الذين حوله، وقد يكون فيهم من هو فقير، فالفقير قد يشم أثر الطعام ويشتهي فلا يحصل عليه لفقره. أورد أبو داود حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَامَ فِي يَدِهِ غَمْرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومُنْ إِلَّا نَفْسَهُ»، والغمر هو الدسومة والزهومة التي تكون في اليد بعد الطعام؛ لأنه قد تأتي عليه الحشرات من ذوات السموم من أجل هذا الذي يجذبها برائحته، فيحصل له شيء لا تحمد عقباه؛ ولهذا قال: «فلا يلو من إلا نفسه» يعني: إذا لم يغسله فلا يلو من إلا نفسه؛ لأنه مفرط وقد تسبب في وصول هذا الأذى إليه. وغسل اليدين يحتمل الوجوب، والنوم هنا مطلق سواء كان في الليل أو في النهار. انتهى.

وقال السندي قوله: «غَمْرٌ» بفتح الغين والميم معاً، قال الجوهرى: الغمر بالتحريك: ريح اللحم «فَأَصَابَهُ شَيْءٌ» للبخار، «فَأَصَابَهُ لَمَمٌ» وهو المس من الجنون، وفي رواية: «فَأَصَابَهُ وَصَحٌّ» وهو البرص، وقال الطيبي وغيره: فأصابه

إيذاء من الهوام؛ وذلك لأن الهوام وذوات السموم ربما يقصده في المنام لرائحة الطعام في يده فيؤذيه^(١).

وجاء في «تحفة الأحوذى»: باب ما جاء في كراهية البيوتة، قال: («وفي يده غمر» بفتحيتين أي: دسم ووسخ وزهومة من اللحم، والجملة حالية. «فأصابه شيء» عطف على بات، والمعنى وصله شيء من إيذاء الهوام، وقيل: أو من الجان؛ لأن الهوام وذوات السموم ربما تقصده في المنام لرائحة الطعام في يديه فتؤذيه، وللطبراني من حديث أبي سعيد: «من بات وفي يده ريح غمر فأصابه وضح - أي: برص - فلا يلومن إلا نفسه»؛ لأنه مقصر في حق نفسه). انتهى.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلته إزاره فلينفض بها فراشه وليسم الله فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه»^(٢).

وفي رواية للترمذي: «إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصنفة إزاره ثلاث مرات؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده»^(٣).

«الكلم الطيب... بصنفة» - بكسر النون - أي: بحاشية إزاره.

(١) «حاشية السندي».

(٢) رواه مسلم.

(٣) قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: «إسناده جيد».

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح السنة»: (قوله: «ما خلفه» يُريد: لعل هامة دَبَّت فصارت فيه بعده). اهـ.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: («دَاخِلَةُ الإِزَارِ» طرفه، ومعناه: أنه يُستحب أن ينفض فراشه قبل أن يدخل فيه لئلا يكون فيه حية أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات). اهـ.

وقال ابن حجر: (والمراد بالدَاخِلَةِ: طرف الإزار الذي يلي الجسد. قال مالك: دَاخِلَةُ الإِزَارِ ما يلي داخل الجسد منه... ووقع في رواية أبي ضمرة في «الأدب المفرد»: «وَلَيْسَمَ اللهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلْفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ»، أي: ما صار بعده خَلْفًا وَبَدَلًا عَنْهُ إِذَا غَاب. قال الطيبي: معناه: لا يدري ما وقع في فراشه بعد ما خرج منه من تراب أو قذاة أو هوام)^(١).

روى ابن ماجه في «سُنَنِهِ» عن نفس الصحابي: (المقدم بن معدي كرب قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِي وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسَبِ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٍ يُقْمَنَ صُلْبِهِ، فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفْسِ»)^(٢).

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: (ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْمَقْدَامِ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»، مِلْءُ الْبَطْنِ فِيهِ خَطَرٌ كَبِيرٌ، فَهُوَ يُسَبِّبُ التَّخْمَةَ وَأَمْرًا ضَاكِرَةً).

(١) وَيُنظَرُ لِذَلِكَ: «فتح الباري»، لابن حجر (١١/١٢٦-١٢٧).

(٢) وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» عَنْ نَفْسِ الصَّحَابِيِّ أَيْضًا.

«بحسب ابن آدم»: يكفي ابن آدم، لُقَيْمَات -وفي لفظٍ: أكالات- يُقْمَنَ صلبه، فإن كان لا محالة فثلثُ لُطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه يعني: إذا رتّب ونظّم أكله، فياكل ولا يشبع، ويشرب ولا يروى كثيرًا، ويُبقي شيئًا للتنفس والراحة، فهذا أحسن له؛ لأنه إذا أكل في الثلث، وشرب في الثلث، بقي ثلثٌ للتنفس والراحة»^(١).

قال ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ: (هذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، وقد روي أن ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة قال: لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطلت دكاكين الصيدلة. اهـ؛ وذلك لأن أصل كل داء التخمّة، وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء، والبطننة رأس الداء، قال الغزالي: ذُكر هذا الحديث لبعض الفلاسفة، فقال: ما سمعت كلامًا في قلة الأكل أحكم من هذا)^(٢).

قال المروزي رَحْمَةُ اللَّهِ: (جعل أبو عبدالله -يعني الإمام أحمد بن حنبل- يعظم الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات؟ فقال: وكيف لا يؤجر وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: ما شبت منذ أربعة أشهر، قلت لأبي عبدالله: يجد الرجل من قلبه رقة وهو يشبع؟ قال: ما أرى، قال الشافعي: الشبع يثقل

(١) شرح كتاب «رياض الصالحين» (١٧٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٥٠٣)، و«فتح الباري» (٩/ ٥٢٨).

البدن ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة^(١).
 النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أن اللقيمات تكفي لحاجة الجسم، فلا تسقط قوته
 ولا تضعف معها، فإن تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه، ويدع الثلث الآخر
 للماء، والثالث للنفس، وهذا أنفع ما للبدن وللقلب، فإن البطن إذا امتلأ من
 الطعام ضاق عن الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس، وعرض
 له الكرب والتعب، بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من
 فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي
 يستلزمها الشبع^(٢).

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ: «الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعَى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»^(٣).
 وروى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ،
 وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ»^(٤).

يقول ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: (يَعْنِي يَنْبَغِي فِي مِثْلِ هَذَا
 الْاِقْتِصَادِ وَالْاِكْتِفَاءِ بِمَا تَيْسِرُ وَعَدَمِ الشَّحِّ، فَإِذَا كَانُوا أَرْبَعَةَ وَجَاءَهُمْ خَامِسٌ

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٥٠٤-٥٠٦).

(٢) انظر: «الطب النبوي» (ص ١٠٥).

(٣) «صحيح البخاري».

(٤) «صحيح البخاري» (ص ١٠٦٧)، برقم (٥٣٩٢)، واللفظ لمسلم.

وسادس؛ فهذا أمر واسع، يكفي الإنسان ما يتيسر من الطعام ما هو لازم يشبع في كل شيء بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فينبغي أن ينشرح صدره بمشاركة إخوانه^(١).

أحاديث نبوية عن أطعمة وإجراءات تساهم في علاج الإنسان:
العسل والحبة السوداء وشرطة المحجم:

أخبرنا ربنا تعالى في محكم تنزيله أن العسل فيه شفاء للناس، قال تعالى:
﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ التَّحْلِ أَنْ آتِخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

وقوله تعالى: ﴿شِفَاءٌ﴾ بالتنكير يدل على التبويض، وأنه شفاء لبعض الأدوية، لا أنه شفاء لها كلها، ولو كان العسل فيه الشفاء لكل الأمراض ما خلق الله دواء آخر غيره!

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (وقوله: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، أي: في العسل شفاء للناس من أدواء تعرض لهم.

قال بعض من تكلم على الطب النبوي: لو قال فيه: (الشفاء للناس) لكان دواء لكل داء، ولكن قال: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، أي: يصلح لكل أحد من أدواء باردة؛ فإنه حار، والشيء يداوى بضده^(٢). انتهى.

(١) «شرح رياض الصالحين» موقع الشيخ.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/٥٨٢).

وبعض المرضى يتناول جرعة يسيرة من عسل، ويظن أنه سيكون فيه الشفاء لمرضه، بل لأمرضه! وهذا بعيد من الشرع، والواقع، فقد يعتري هذه المعالجة أشياء تمنع من الشفاء بالعسل، ومنه:

- ١- أن لا يكون المرض من الأدواء التي يكون العسل سبب شفاؤها.
- ٢- أن تكون الكمية المتناولة قليلة، والمرض يحتاج لما أكثر منها.
- ٣- أو يكون العسل ليس طبيعياً.
- ٤- أو يكون ذلك من باب الابتلاء؛ ليرى صبر المريض واحتسابه، أو ليزداد الأجر والثواب له.

٥- أن يكون في الجسم من الموانع ما يمنع من الاستفادة من هذا الدواء، كحال المدخن، أو الذي يشرب المسكرات.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»، ثُمَّ أَتَاهُ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ^(١).

(يشتكى بطنه)، أي: من ألم أصابه بسبب إسهال حصل له.

«صدق الله» يعني في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ

لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

(١) رواه البخاري (٥٣٦٠)، ومسلم (٢٢١٧).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (معنى «كذب بطنه»، أي: لم يصلح لقبول الشفاء، بل زلَّ عنه، وقد اعترض بعض الملاحدة، فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الإسهال؟ والجواب: أن ذلك جهل من قائله، بل هو كقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]، فقد اتفق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السنِّ، والعادة، والزمان، والغذاء المألوف، والتدبير، وقوة الطبيعة، ... ولا شيء في ذلك مثل العسل، لا سيما إن مزج بالماء الحار، وإنما لم يفده في أول مرة: لأن الدواء يجب أن يكون له مقدار، وكمية، بحسب الداء، إن قَصُر عنه: لم يدفعه بالكلية، وإن جاوزه أوهى القوة، وأحدث ضرراً آخر، فكأنه شرب منه أولاً مقداراً لا يفي بمقاومة الداء، فأمره بمعاودة سقيه، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء: برأ بإذن الله تعالى.

وفي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وكذب بطن أخيك» إشارة إلى أن هذا الدواء نافع، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكن لكثرة المادة الفاسدة، فَمِنْ ثَمَّ أمره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها، فكان كذلك، وبرأ بإذن الله^(١). انتهى.

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنهى أمتي عن الكي».

(١) «فتح الباري» (١٠/١٦٩-١٧٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فِي الْحَبَّةِ السُّودَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ»^(١).

ومثل ما أخبر الله تعالى به من وجود شفاء في العسل أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ فِي الْحَبَّةِ السُّودَاءِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَصِيغَةُ هَذَا الْحَدِيثِ فِيهَا مِنَ التَّعْمِيمِ مَا لَيْسَ فِي آيَةِ النَّحْلِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يُعْرَفُ مِنْ يَقُولُ أَنَّ عَمُومَهَا عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّهَا نَافِعَةٌ لِكُلِّ دَاءٍ، وَهُوَ الْأَمْرُ نَفْسَهُ الَّذِي قِيلَ فِي الْعَسَلِ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (قال الخطابي: قوله: «من كل داء» هو من العام الذي يراد به الخاص؛ لأنه ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع جميع الأمور التي تقابل الطبائع في معالجة الأدوية بمقابلها، وإنما المراد أنها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة.

وقال أبو بكر بن العربي: (العسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون دواء من كل داء من الحبة السوداء، ومع ذلك فإن من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسل لتأذى به، فإن كان المراد بقوله في العسل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ الأكثر الأغلب، فحمل «الحبة السوداء» على ذلك أولى.

وقال غيره: (كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض، فلعل قوله في «الحبة السوداء» وافق مرض من مزاجه بارد، فيكون معنى قوله: «شفاء من كل داء» أي: من هذا الجنس الذي وقع القول

(١) رواه البخاري ومسلم، والسام: أي الموت.

فيه، والتخصيص بالحيشية كثير شائع، والله أعلم^(١). انتهى.

قال العيني في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»: (وكان يشرب -أي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كل يوم قدح عسل ممزوجاً بماء على الريق، وهي حكمة عجيبة في حفظ الصحة ولا يعقلها إلا العالمين.

وكان بعد ذلك يتغذى بخبز الشعير مع الملح أو الخل ونحوه ويصابر شظف العيش، ولا يضره لما سبق من شربه العسل.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: (الحبة السوداء طيبة، قال فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنها شفاء من كل داء، ولكن ينبغي لمن يعالج بها أن يستأنس بآراء الأطباء العارفين بها من... كيفية العلاج بها، قلة أو كثرة، وأوقات العلاج بها، حتى يستفاد منها على الوجه الذي يعرفه الأطباء، وإلا فهي طيبة مثل ما قال فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)^(٢).

العلاج بالحبة السوداء:

روى البخاري عن عائشة أنها سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ هَذِهِ الحبة السوداء شفاءٌ من كلِّ داءٍ إلا من السام»، قلتُ: وما السام؟ قال: «الموت»^(٣).

(١) «فتح الباري» (١٠/١٤٥).

(٢) «فتاوى نور على الدرب»، موقع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

(٣) البخاري، حديث: (٥٦٨٧).

تسمّى الحَبَّة السوداء بأسماء عديدة، منها: حَبَّة البركة، الكمون الأسود، والكمون الهندي^(١).

فوائد الحَبَّة السوداء:

إنَّ للحَبَّة السوداء فوائد كثيرة ذَكَرَهَا العلماء، ويمكن أن نوجزَهَا فيما يلي:

١- إذا طحنت بخلٍّ، وطلّي به البرص والبهامة الأسود وقشرة الرأس، عالجه بإذن الله تعالى.

٢- إذا دُقَّت وعجنت بعسل النحل وشُربت بالماء الحار أذابت الحصاة التي تكون في الكليتين والمثانة.

٣- إذا شربت عدَّة أيام ساعدتْ على در البول والحيض واللبن.

٤- إذا سخنت بالخل، وطلّي بها على البطن، قتلت حب القرع، وهي ديدان تكون في البطن.

٥- إذا عجنت بماء الحنظل الرطب، أو المطبوخ، ساعدتْ على إخراج الدود.

٦- إذا دُقَّت وربطت بخرقة من كتان، واستمرَّ الإنسان في شمِّها؛ نفعت من الزُّكام.

٧- إذا طبخت بخلٍّ وتمضمض بها، نفعتْ من وجع الأسنان الكائن عن البرد.

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (٤/٣٤٧).

- ٨- إذا شرب منها مقدار مئقال بماء، نفعت في علاج ضيق التنفُّس.
- ٩- تستخدم في علاج البلغم.
- ١٠- زيت حبة البركة ينفع في علاج الصداع.
- ١١- مجففة لبلبة المعدة ورطوبتها.
- ١٢- إذا دهن بزيتها نفع لعلاج داء الحية.
- ١٣- إذا ضُمَّدَّ به مع الخُلِّ قَلَع البثور والجرب المتقرِّح، وحلَّل الأورام البلغمية المزمنة والأورام الصُّلبة.
- ١٤- إذا سحقَت وخُلِطَت بدهن الحبة الخضراء، وقطر منها في الأذن ثلاث قطرات، نفعت من البرد العارض فيها والريح والسدد.
- ١٥- إذا طحنت وقلبت ثم نعتت في زيت، وقطر منها في الأنف ثلاث قطرات أو أربع، نفعت من الزكام العارض الذي يصاحبه عطاس كثير.
- ١٦- إذا طحنت ووضع منها في الأنف، نفعت من ابتداء الماء العارض في العين.
- ١٧- زيتها يساعد في علاج اللقوة، وهي اعوجاج في الفم، أو شلل العصب الوجهي وميله إلى جهة غير طبيعِيَّة، وسببه التشنُّج.
- ١٨- إذا وضع زيت حبة البركة في الأنف، نفع في علاج الفالج، وهو استرخاء لأحد شقَي البدن، ويساعد أيضًا في علاج الكُراز، وهو مرض نتيجة شدة البرد^(١).

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (٤/٢٩٧-٣٠٠).

عناية الإسلام بالنظافة الشخصية:

اعتنى الإسلام بصحة الإنسان أيما اهتمام؛ لأن الإنسان إذا كان سليماً في جسده أقبل على طاعة الله تعالى وعباداته بنفس مطمئنة ومنشرح الصدر، وأصبح نشيطاً مقبلاً على أداء أعماله بنشاط وحيوية.

لذلك اهتم الإسلام مثلاً بتطهير الفم، لما ثبت عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»^(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء»^(٢).

أثنى الدين الإسلامي الحنيف على كل ما فيه نفعنا، وحذرننا من كل ما فيه مضرتنا في دياننا وأخرانا، ومما حثنا عليه الإسلام: النظافة والتطهر من الأنجاس والأقذار، والإنسان معرض لكثير من الآفات والأمور المكروهة، فهو يحتاج إلى دفعها عن نفسه بما يزيلها، ومن ذلك السواك، فإنه مطهرة للفم مرضاة للرب، كما في الحديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد جاء في الحث على السواك، وبيان فوائده، وذكر أحكامه، وأوقات استعماله أكثر من مائة حديث؛ ومن ذلك ما جاء في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لولا أن أشق على

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الشافعي، وأحمد.

أمّتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». وما ذلك إلا لأن في السواك فوائد جمّة يصعب حصرها، ولكننا سنشير إلى بعض منها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وفي السواك عدة منافع: يطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويذهب بالحفر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات)^(١).
فهذه أربع عشرة فائدة من فوائد السواك، ويضاف إلى ذلك من فوائد السواك أنه (يبيض الأسنان، ويطيب النكهة، ويسوي الظهر ويطيئ الشيب، ويصفي الخلقة، ويذكي الفطنة، ويضاعف الأجر، ويسهل النزاع... ويذكر الشهادة عند الموت)^(٢).

فهذه تسع فوائد تضاف إلى ما سبقها من الفوائد، فيكون المجموع ثلاث وعشرون فائدة.

وهناك فوائد أخرى للسواك ذكرها علماء الطب الحديث، منها:

١- أفضل علاج وقائي لتسوس أسنان الأطفال لاحتوائه على مادة الفلورايد.

٢- يزيل الصبغ والبقع لاحتوائه لمادة الكبريت والمادة القلوانية.

(١) «زاد المعاد».

(٢) «زاد المعاد».

٣- تبيض الأسنان لاحتوائه لمادة السيلكا.

٤- يفيد في التأم الجروح وشقوق اللثة ويساعد على نموها نموًا سليمًا لاحتوائه لمادة ترايميثي لامين وفيتامين (ج).

٥- أفضل علاج لترك التدخين وقد عدد أحدهم بعض فوائد السواك، فقال: إن السواك يستحب لسنة ولأنه مما يطيب له الفم لم تخش من حفر إذا أدمته وبه يسال من اللهاة البلغم^(١) هذه بعض فوائد السواك، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حثنا وأوصانا بالسواك فهو بأبي وأمي حريص علينا.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

واهتم الإسلام بتنظيف البدن واللباس عند الذهاب للمسجد؛ قال تعالى:

﴿يَبْنَئْ أَدَمَ حُدُودَ زِينَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: (أي: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحًا مشوهًا. ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس).

(١) «العقد الفريد» (٢/ ٤٩٨) لابن عبد ربه.

وحدث الإسلام على الغسل من الجنابة ويوم الجمعة، ويوم الجمعة يوم الجمال والطهارة والنظافة، يوم عظيم وهو عيد المسلمين، بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ»^(١). رواه ابن ماجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ عِيدٌ فَلَا تَجْعَلُوا يَوْمَ عِيدِكُمْ يَوْمَ صِيَامِكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُومُوا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ».

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (غسل الجمعة سنة مؤكدة للرجال؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وأن يستاك ويتطيب»، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من راح إلى الجمعة فليغتسل»، في أحاديث أخرى كثيرة، وليس بواجب الوجوب الذي يآثم من تركه، ولكنه واجب بمعنى: أنه متأكد؛ لهذا الحديث الصحيح، ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من توضأ يوم الجمعة ثم أتى المسجد فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام»، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل»^(٢).

التنزه من البول:

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (مرّ

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) من ضمن الأسئلة الموجهة من المجلة العربية، «مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن

باز» (١٠/١٧١).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قبرين، فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أمّا أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأمّا الآخر فكان لا يستتر من بوله»، ثم قال: «ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر»، ثم قال: «لعله يخفف عنهما، ما لم ييسسا»^(١).

في الحديث دلالة على أن عدم التنزه من البول كبيرة من كبائر الذنوب وقد ذكر الذهبي الكبيرة الحادي والثلاثون: عدم التنزه من البول^(٢). وذكرها ابن حجر أيضًا.

فيجب على المسلم أن يتنزه من بوله، ويظهر ثوبه من آثاره إذا أصابه منه شيء، فإن البول نجاسة، وإذا تعمد ذلك؛ فإن ذلك يؤدي لبطلان الصلاة؛ لأن من شروط الصلاة إزالة النجاسة من البدن، وأن عامة عذاب القبر منه كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الدارقطني أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «استنزها من البول فإن عامة عذاب القبر منه»، وللحديث شواهد يتقوى بها.

والاستنزاه من البول يكون بأمرين:

الأول: أن يتحرز الإنسان من رشاشا البول لا يصيب بدنه وثيابه، ويختار المكان الذي لا يكون فيه شيء يرجع إليه رذاذا البول.

الثاني: إذا أصابه شيء من البول فعليه أن يبادر إلى إزالته.



(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر كتابه «الكبائر».

عناية الإسلام بالروح والصحة الجسدية

الرُّوح؛ بالضم: خلقٌ من مخلوقات الله عَزَّجَلَّ، أُضيفت إلى الله إضافة ملكٍ وتشريفٍ لا إضافة وصف؛ فهو خالقها ومالكها، يقبضها متى شاء ويرسلها متى شاء سبحانه، وقد وردت في الكتاب والسنة مضافة إلى الله عَزَّجَلَّ في عدة مواضع.

ذكرها في القرآن الكريم:

- ١- قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].
- ٢- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢].
- ٣- وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].
- ٤- وقوله تعالى: ﴿فُتُوسَوُّهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٩].

ذكرها في السنة:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في استفتاح الجنة، وفيه: «... فيأتون آدم... ثم موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فيقول: اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه...»^(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾؛ كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [البقرة: ١٣]؛ أي: من خلقه ومن عنده، وليست «من» للتبعيض؛ كما تقول النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة، بل هي لابتداء الغاية، وقد قال مجاهد في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾، أي: ورسول منه، وقال

(١) رواه البخاري ومسلم.

غيره: ومحبة منه، والأظهر الأول؛ أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف؛ كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله).
والإسلام أولى عناية عظيمة بالروح وهذبها ورفعها عن أدران الشرك والبدعة، فأرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب الأرباب لا معبود بحق سواه.

فدعوا قومهم إلى توحيد الإلهية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فتطهير النفوس من الشرك والكفر والسمو بالتوحيد الخالص لله رب العالمين، هو زبدة الرسالات السماوية، والغاية من إنزال الكتب، وإرسال الرسل.
وخلق الله تعالى الإنسان في أحسن صورة وأبهى خلقه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: (أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهراً أو باطناً شيئاً، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق). اهـ.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (كيف تنكر أن تكون شريعة المبعوث بصلاح الدنيا والآخرة مشتملة على صلاح الأبدان؛ كاشتمالها على صلاح القلوب، وأنها مرشدة إلى حفظ صحتها، ودفع آفاتا بطرق كلية، قد وكل تفصيلها إلى العقل الصحيح والفطرة السليمة بطريق القياس والتنبيه والإيماء كما هو في كثير من مسائل فروع الفقه)^(١).

ومن العناية بالصحة الجسدية ما يلي:

١- الوضوء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

يقول الدكتور الطيب حامد الغوايبي: (الأمراض تنتقل للإنسان بإحدى طرق ثلاث؛ إما عن طريق الفم أو الاستنشاق، أو عن طريق الجلد وما الوضوء إلا الطريق الذي يطهر هذه المواضع كلها)^(٢).

ويقول الدكتور غريب جمعة: (غسل الوجه واليدين ومسح الأذنين من أهم أسباب وقايتها من الأمراض الجلدية حيث إن كثيراً من الميكروبات وطفيليات بعض الديدان والفطريات يصيب الإنسان عن طريق التسلخات الموجودة بالجلد الناجمة عن الهرش بسبب عدم النظافة)^(٣).

(١) «زاد المعاد».

(٢) «بين الطب والإسلام» (ص ٩٩).

(٣) «الطب في ضوء الإسلام»، دكتور غريب جمعة (ص ٥٠).

(وهذا الغسل المتمثل في الوضوء تتخلص الأطراف من الجراثيم والميكروبات؛ بل إن غسلهما يساعد على تنشيط الدورة الدموية)^(١).
كما حث الإسلام على تقليص الأظافر؛ لأن الأظافر يجتمع تحتها الأوساخ والميكروبات، فتسبب الأمراض ونقلها عند الأكل؛ لذا يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما أخرجه مسلم بسنده من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عشرة من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء»، يعني: الاستنجاء. قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة)^(٢).

كما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغسل اليدين ثلاثاً عند الاستيقاظ من النوم، جاء ذلك فيما أخرجه مسلم في «صحيحه» بسنده من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمَسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهُمَا؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»^(٣).

٢- ومن ناحية الأذى الجسدي نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كل ما يؤدي للمسلمين أو يسبب الأذى لهم.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَشْرُ أَحَدُكُمْ

(١) «الطب الوقائي بين العلم والدين»، د. نضال سميح عيسى (ص ٢٢).

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الطهارة.

إِلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَنْزِعَ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ». قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِعُ» ضَبَطَ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ مَعَ كَسْرِ الزَّايِ، وَبِالْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ مَعَ فَتْحِهَا، وَمَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبٌ، مَعْنَاهُ بِالْمُهْمَلَةِ يَرْمِي، وَبِالْمُعْجَمَةِ أَيْضًا يَرْمِي وَيُفْسِدُ، وَأَصْلُ النَّزْعِ: الطَّعْنُ وَالْفَسَادُ. وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولاً»^(٢).

قال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: (الحديث الأول والثاني: يدلان على تحريم تعاطي ما يسبب شراً على أخيك المسلم، لا بالسلاح ولا بعصا ولا بغيرهما، وأن الواجب احترام المسلم والحذر من إيصال الشر إليه بالفعل أو القول، ومن ذلك الإشارة بالحديدة أو بالسلاح، ولو مازحاً، لا يجوز لأن الشيطان قد ينزع بيده ويزين له ضرب أخيه، أو ينزع السلاح من يده فيقع من غير اختياره فيضر أخاه، ويروى ينزع وينزع، والمعنى أنه قد يفعل الشيطان ما يسبب سقوطها من يده حتى تقع على أخيه)^(٣).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٣) «شرح رياض الصالحين»، موقع الشيخ.

٣- نهى الإسلام عن قتل النفس وإتلافها بالانتحار بأي طريقة كانت، وقتل الآخرين وإزهاق أرواحهم:

ولأجل الحفاظ على النفس حرم قتل النفس المسلمة بغير حق، وأمر بالقصاص في القتل، فقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيْبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمَفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ»^(١)، فدم المسلم حرام، وماله حرام، وعرضه حرام.

وقد صان الإسلام الدماء والأموال والفروج، ولا يجوز استحلالها إلا فيما أحله الله فيه وأباحه، وقتل المسلم بغير حق من كبائر الذنوب، والقاتل معرض للوعيد، وقد نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فَسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يَصِبْ دَمًا حَرَامًا»^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) «صحيح البخاري»، كتاب الدييات.

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»^(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض»^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»^(٣).

وعن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إن من ورطات الأمور، التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدم الحرام بغير حله»^(٤).

بل إن من عدل الإسلام العظيم نهى عن قتل الكافر وصان دمه وهو معاهد

بين المسلمين:

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا

(١) «سنن ابن ماجه»، كتاب الديات.

(٢) «صحيح البخاري».

(٣) «صحيح البخاري».

(٤) «صحيح البخاري».

لَمْ يَرْحَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(١).

قال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: (هذا فيه تحذيرٌ من قتل المعاهدين، وأنه لا يجوز قتل المعاهد؛ مَنْ تم له العهد لا يجوز قتله، إذا عاهده وليُّ الأمر ودخل في الأمان، أو أُعطي عهدًا، أو وافق على أخذ الجزية منه لا يُقتل، بل يجب أن يمضى له العهد، فالمسلمون على شروطهم، والواجب عدم إخفار العهد، ولهذا قال: مَنْ قتل مُعاهدًا لم يرح رائحة الجنة، هذا وعيدٌ عظيمٌ، فالواجب على مَنْ أعطاه وليُّ الأمر العهدَ والذمة -سواءً بجزيةٍ أو بغير جزيةٍ- ألا يخفر، وأن يبقى له عهده وذمته حتى يخفر هو، فلا يجب على ولي الأمر أن يتم العهود وألا يخفرها حتى تمضي المدة التي عاهد عليها، نعم)^(٢).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: (ومن أعطاهم الأمان منا؛ من رجل، أو امرأة، أو عبد، جاز أمانه وجملته أن الأمان إذا أُعطي أهل الحرب، حرم قتلهم ومالهم والتعرض لهم. ويصح من كل مسلم بالغ عاقل مختار، ذكرا كان أو أنثى، حرا كان أو عبدا. وبهذا قال الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وإسحاق، وابن القاسم، وأكثر أهل العلم)^(٣). انتهى.

وفي قتل النفس بالانتحار نهى الإسلام عن ذلك أشد التحريم ورتب على

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(٢) «شرح بلوغ المرام»، موقع الشيخ.

(٣) من «المغني» (٩/ ١٩٥).

من فعل ذلك العذاب الأليم، فالانتحار كبيرة من كبائر الذنوب، وفاعلها متوعد بالخلود في نار جهنم أبداً، ويعذبه الله تعالى بالوسيلة التي انتحر بها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مَخْلُودًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسَمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلُودًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا - أَيْ يَطْعَنُ - فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلُودًا فِيهَا أَبَدًا»^(١).

وعن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جِرْحٌ فَجَزَعُ فَأَخَذَ سَكِينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادِرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٣).

فالإسلام أمر بالصبر والاحتساب على المرض وعلى البلاء بأنواعه، ورتب على الصبر الأجر العظيم.

فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ

(١) رواه البخاري (٥٤٤٢)، ومسلم (١٠٩).

(٢) رواه البخاري (٥٧٠٠)، ومسلم (١١٠).

(٣) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١١٣). فما رقا الدم: فما توقف.

وَلَا حُزْنَ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٌّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ حَطَايَاهُ»^(١).

وروى الترمذي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ حَطِيئَةٌ»^(٢).

وخص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأكل باليمين وقاية للإنسان، أخرج البخاري ومسلم بسندهما عن طريق وهب بن كيسان عن عمر بن أبي سلمة قال: «كنت في حجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال: يا غلام، سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»^(٣).

يقول الطبيب الدكتور غريب جمعة: (إذ إن اليد اليسرى قد تكون ملوثة بالميكروبات أو بويضات بعض الطفيليات نتيجة ملامستها وقت الاستنجاء)^(٤).

كما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغسل اليدين ثلاثاً عند الاستيقاظ من النوم،

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة».

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين (١٩٦/٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما (١٥٩٩/٣).

(٤) «الطب في ضوء الإسلام» (ص ٥٣).

جاء ذلك فيما أخرجه مسلم في «صحيحه» بسنده من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلهما؛ فإنه لا يدري أين باتت يده»^(١).

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبالغ في نظافة يده عند الغسل من الجنابة، أخرج مسلم في «صحيحه» بسنده من طريق ابن عباس قال: حدثني ميمونة قالت: «أذنت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غسله من الجنابة فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً ثم أدخل يده في الإناء ثم أفرغ به على فرجه، وغسله بشماله ثم ضرب بشماله الأرض فدلكنهما دلكا شديدا ثم توضأ وضوءه للصلاة ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات الحديث»^(٢).

وهذا يتجلى لنا العناية الفائقة التي اختصت بها اليد كطريق من طرق الوقاية الصحية.



(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الطهارة، باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلهما ثلاثاً (١/١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب صفة غسل الجنابة ١/٢١٠.

عناية الإسلام بوسائل النوم وسلامة الإنسان

اعتنى الإسلام بإمكانة النوم كالفرش حفاظاً على صحة الإنسان مما قد يتسبب له بقاء الفراش دون نفض، تجمع الحشرات المؤذية والهوام.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا، وَإِنْ أَرْسَلَتْهَا فَأَحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادُكَ الصَّالِحِينَ».

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح مسلم»: «(دَاخِلَةُ الْإِزَارِ): طَرَفُهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَنْفُضَ فِرَاشَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، لِئَلَّا يَكُونَ فِيهِ حَيَّةٌ أَوْ عَقْرَبٌ أَوْ غَيْرَهُمَا مِنَ الْمُؤْذِيَّاتِ، وَلْيَنْفُضْ وَيَدَّهُ مَسْتُورَةً بِطَرَفِ إِزَارِهِ، لِئَلَّا يَحْصُلَ فِي يَدِهِ مَكْرُوهٌ إِنْ كَانَ هُنَاكَ». انتهى.

وهذا تعلم أن نفض الفراش يكون عند إرادة النوم، ويكون بطرف ثوبك أو غيره. والله أعلم.

وفي العلم الحديث اكتشفت حشرة تؤذي الإنسان تعيش في الفراش والمنزل، ففي «موقع طب ويب»: (في العلم الحديث تم اكتشاف حشرة تسمى بحشرة الفراش تسبب للإنسان الأذى والألم، وتعيش في الفراش والمنزل. حشرات الفراش أو بق الفراش هي حشرات ذات حجم صغير ومسطح الشكل، وتمتلك (٦) أرجل وليس لديها أجنحة، تتغذى على دم

الحيوانات أو البشر، وغالبًا ما تتغذى على جسد مضيفها مما يسبب ظهور اللدغات. يتراوح لونها ما بين الأبيض إلى اللون البني ثم يتحول لونها إلى الأحمر بعد أن تتغذى على الدم، ولا تنمو حشرات الفراش الشائعة لأكثر من نصف سنتيمتر. تمت تسميتها بهذا الاسم نظرًا لكونها تحب الاختباء في الفراش، والأرائك، والملابس، والمفروشات الناعمة بشكل عام، كما أن حشرات الفراش البيضاء سريعة التكيف، ويوجد عدة طرق تمكنها من الدخول لمنزلك أو إلى فراشك؛ إذ من الممكن أن تدخل برفقة أمتعتك من الخارج أو عند شرائك أثاث أو مراتب أو ملاءات مستعملة). انتهى.



عناية الإسلام بالصحة النفسية

إن الصحة النفسية عامل مهم في استقرار الحالة المزاجية للإنسان والتحكم في سلوكه مع نفسه وأسرته ومجتمعه، فالتمتع بالصحة النفسية الجيدة والخالية مما يشوبها من أمراض، يكون طيب النفس سعيداً مقبلاً على طاعة ربه تعالى وعبادته بطمأنينة وراحة بال.

ومن الأمراض النفسية:

الاكتئاب، الهستيريا، الوسواس القهري، الخوف أو الرهاب، الفصام، الإحباط، القلق، الغيرة المرضية، الهلوسة.

مداواة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجراح النفسية وبث الأمل في قلوب

المحزونين:

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البلسم الشافي لأصحابه يداوي الجراح النفسية، وبث الأمل والسعادة في قلوب المحزونين، فهذه الربيع بنت النضر لما فقدت ابنها حارثة بن سراقَةَ في يوم بدر أتت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسأله عن فلذة كبدها، فقالت: يا رسول الله، قد علمت مَوقِعَ حَارِثَةَ مِن قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا: «هَبْلَيْتِ! أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى»، وقال: «عَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسٍ أَحَدِكُمْ - أَوْ مَوْضِعٌ قَدَمٍ - مِنَ الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

اَظَلَّتْ إِلَى الْأَرْضِ لِأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَّتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا
-يَعْنِي الْخِمَارَ- خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١).

وعاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ
-صغير الطير، صار ضعيفًا مثل الفرخ لضعفه وكثرة نحافته- فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ:
«اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ، أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ، أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي
الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ، فَشَفَاهُ»^(٢).

وهذا رجل جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متأثرًا بما فعله من جرم في حق
نفسه وزوجته ومخالفته للشرع، فجاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسية سيئة
ومضطرب، فقابله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحسن استقبال وجمال توجيه، فخفف
عنه ما يجد، وأصلح حاله باتباع الشرع، واجتباب ما يخالفه.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:
هلكت يا رسول الله، قال: «وما أهلكك؟» قال: وقعت على امرأتي في رمضان،
فقال: «هل تجد ما تعتق رقبة؟» فقال: لا، فقال: «هل تستطيع أن تصوم
شهرين متتابعين؟» قال: لا، قال: «هل تجد ما تطعم ستين مسكينًا؟» قال:

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

لا. ثم جلس، فأُتِيَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرق فيه تمر، فقال: «تصدق بهذا»، فقال: أعلى أفقر منا؟ فما بين لابتيتها أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بدت أنيابه ثم، قال: «اذهب فأطعمه لأهلك».

وروايات هذا الحديث وطرقه تختلف في الإيراد، ففي بعضها وصف حالة مجيئه: (يضرب صدره، ويتنف شعره، وينادي بالويل: هلكت وأهلكت يا رسول الله! قال: «وما أهلكك؟»، قال: واقعت أهلي في رمضان -واقعت أهلي) كناية عن الجماع، وهو حقيقة في الوطء، بخلاف مقدماته - فقال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتجد رقبة فتعتقها؟»، فضرب على صفحة عنقه، وقال: لا أملك إلا هذه. قال: «أستطيع صوم شهرين متتابعين؟»، قال: والله! ما أهلكني إلا الصوم - أنا ما استطعت صيام رمضان فكيف أصوم شهرين متتابعين؟! - قال: «هل تجد ما تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا - والله - ما عندي. قال: «اجلس»، فجلس الرجل، فأُتِيَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعرق فيه تمر - تنطق هذه الكلمة بتسكين الراء أو فتحها (عرق أو عرق)، وهو نوع من الأوعية المصنوعة من خوص النخل، ويسمى قفة أو مقطف، ليس كبير الحجم - فناداه وقال: خذ هذا وتصدق به عن نفسك. فقال: يا رسول الله! أتصدق به؟! أعلى أفقر منا؟! والله - يا رسول الله - ما بين لابتيتها أفقر مني).

ومن العوامل التي تخفف من الضغوط النفسية لدى الآخرين وتسعدهم وتبث السرور فيهم:

١ - الابتسامة: فهو مفتاح القلوب وهي صدقة كما أخبر بذلك نبينا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(١).

٢- طلاقة الوجه والاستبشار: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(٢).

قال المباركفوري: (... «وإنَّ من المعروف» أي: من جملة أفرادها، «أن تلقى أخاك» أي: المسلم. «بوجه» بالتثنية، «طَلْقٍ» معناه: يعني تلقاه منبسط الوجه متهلِّله)^(٣).

وقال في «دليل الفالحين»: (أي بوجه ضاحك مستبشر، وذلك لما فيه من إيناس الأخ المؤمن، ودفع الإيحاش عنه، وجبر خاطره، وبذلك يحصل التآليف المطلوب بين المؤمنين)^(٤).

٣- إلقاء السلام: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تَوَافِقُوا، وَلَا تَوَافِقُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدْلِكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٥).

(١) رواه الترمذي، وابن حبان.

(٢) رواه الترمذي، وأحمد.

(٣) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح».

(٤) «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» لابن علان.

(٥) رواه مسلم.

قال الطيبي في «معالم السنن»: (جعل إفشاء السلام سبباً للمحبة، والمحبة سبباً لكمال الإيمان؛ لأن إفشاء السلام سبب للتحابب والتوادد، أو هو سبب الألفة والجمعية بين المسلمين، المسبب لكمال الدين، وإعلاء كلمة الإسلام، وفي التهاجر والتقاطع التفرقة بين المسلمين، وهي سبب لانثلام الدين والوهن في الإسلام).

وقال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: (وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام، وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف، والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمان المسلمين. قال: وفيها لطيفة أخرى، وهي أنها تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين، التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه، ولا يخص أصحابه وأحبابه به، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بالصواب).

٤- الهدية: روى الإمام مالك في «الموطأ» عَنْ عَطَاءِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَصَافَحُوا يَذْهَبُ الْغُلُّ، وَتَهَادُّوا تَحَابُّوا وَتَذْهَبُ الشَّحْنَاءُ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَهَادُّوا تَحَابُّوا» وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قال المهلب: (فيه الحض على التهادي والمتاحفة ولو باليسير؛ لما فيه من استجلاب المودة، وإذهاب الشحناء، واصطفاء الجيرة، ولما فيه من التعاون على أمر العيشة المقيمة للإرماق، وأيضاً فإن الهدية إذا كانت يسيرة فهي أدل على المودة، وأسقط للمثونة، وأسهل على المهدي لا طراح التكليف)^(١).
وأخيراً: فإن إدخال السرور على الناس وتخفيف آلامهم ومصائبهم، وزرع البسمة على شفاههم، من أحب الأعمال إلى الله تعالى.
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ»^(٢).



(١) «شرح ابن بطلان».

(٢) صحيح الترغيب للألباني رحمه الله تعالى.

عناية الإسلام بالصحة الوقائية

١ - الوقاية في البيوت:

إن المتتبع للسنة النبوية يجد أن هناك الكثير من الأحاديث تحث على الطب الوقائي، كالبول في الأماكن التي لا تسبب أذى للإنسان، وعدم ترك المصابيح مضاءة عند النوم، وللأطباء تعليقات عليها، وبيان فوائدها، وتغطية الأواني وعدم تركها بلا غطاء، وإغلاق الأبواب بالليل، وكلها لها فوائد وقائية. وفي ذلك المعنى ورد في «مسند الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ» (٨٢ / ٥) عن قتادة، عن عبدالله بن سرجس، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يبولن أحدكم في الجحر، وإذا نتم فأطفئوا السراج؛ فإن الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت، وأوكئوا الأسقية، وخمروا الشراب، وغلقوا الأبواب بالليل». هذا حديث صحيح.

وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علل أوامره وتعليماته، كما أخرج البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا استجرح الليل - أو كان جنح الليل - فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء، فخلوهم، وأغلق بابك، واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله، وأوك سقاءك، واذكر اسم الله، وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً»، زاد في رواية: «فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً»، وفي أخرى «وأطفئوا المصابيح، فإن الفويسقة ربما جرت الفتيلة، فأحرقت أهل البيت»، وفي أخرى: «وخمروا

الطعام والشراب». قال همام: وأحسبه قال: «ولو بعود» أخرجه البخاري ومسلم. ولمسلم «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابا، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودا، ويذكر اسم الله، فليفعل فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم»، وفي رواية: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء، فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء»، وفي أخرى: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء». زاد في رواية: قال الليث: (فالأعاجم عندنا يتقون ذلك في كانون الأول). وأخرج «الموطأ» رواية مسلم الأولى إلى قوله: «ولا يكشف إناء، وذكر الفويسقة، وإضرارها النار» وكذلك الترمذي.

وفي رواية أبي داود: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أغلق بابك، واذكر اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله، وأوك سقاءك، واذكر اسم الله، وخمر إناءك، ولو بعود تعرضه عليه واذكر اسم الله». وله في أخرى بهذا الخبر، قال: وليس بتمامه وقال: «فإن الشيطان لا يفتح مغلقا، ولا يحل وكاء، ولا يكشف إناء، وإن الفويسقة تضرم على الناس بيتهم، أو بيوتهم»، وله في أخرى قال: «واكفتوا صبيانكم عند العشاء - وفي

أخرى: عند المساء- فإن للجن انتشارًا وخطفة». وفي رواية ذكرها رزين قال: (بينما نحن عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بفأرة تجر فتيلة، حتى وضعتها بين يديه على طرف الحصير، فأحرقته، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن هذه النار عدو لكم، فإذا نتمم فأطفئوها عنكم، فإن الشيطان يدل هذه على مثل هذا، فتحرق على أهل البيت متاعهم»^(١)).

٢- نظافة اليدين: كما حث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نظافة اليدين، خاصة قد يعلق بها من روائح وبقايا الطعام. أخرج أبو داود رَحِمَهُ اللهُ (١٠ / ٣٣١): عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من نام وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه». هذا حديث حسن على شرط مسلم.

قال المناوي في «فيض القدير» (٦ / ٩٢): «من بات» - وفي رواية: «من نام» - «وفي يده غمر»: ريح لحم أو دسمه أو وسخه، زاد أبو داود: «ولم يغسله فأصابه شيء»، أي: إيذاء من بعض الحشرات «فلا يلومن إلا نفسه»؛ لتعرضه لما يؤذيه من الهوام بغير فائدة؛ وذلك لأن الهوام وذوات السموم ربما تقصده في المنام لريح الطعام فتؤذيه. اهـ.

٣- تكريم اليد اليمنى: ومن الطب الوقائي أن لا يستعمل الإنسان يده اليمنى فيما قد يكون سببا في إصابته بالجراثيم والأوبئة، وفي ذلك أخرج

(١) «جامع الأصول»، لابن الأثير (١١ / ٧٥٧).

البخاري - «الفتح» (١٠) (٥٦٣٠) - بسنده، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا بال أحدكم فلا يمسح ذكره بيمينه، وإذا تمسح أحدكم فلا يتمسح بيمينه». جاء في «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٦ / ٧٩): قال المهلب: التنفس إنما نهى عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كما نهى عن النفخ في الطعام والشراب - والله أعلم - من أجل أنه لا يؤمن أن يقع فيه شيء من ريقه، فيعافه الطاعم له ويستقذر أكله؛ إذ كان التقذر في باب الطعام والشراب، والتنظف فيه الغالب على طباع أكثر الناس، فنهاه عن ذلك؛ لئلا يفسد الطعام والشراب على من يريد تناوله هذا إذا أكل أو شرب مع غيره، وإذا كان الإنسان يأكل أو يشرب وحده أو مع أهله أو مع من يعلم أنه لا يقدر شيئاً مما يأكل منه، فلا بأس بالتنفس في الإناء، كما فعل النبي مع عمر بن أبي سلمة أمره أن يأكل مما يليه، وكان هو عَلَيْهِ السَّلَامُ، يتبع الدباء في الصحفة، علماً منه أنه لا يقدر منه شيء عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف يظن ذلك وكان إذا تنخم تبادر أصحابه نخامته فدلوكوا بها وجوههم، وكذلك فضل وضوئه، فهذا فرق بين فعل النبي وأمره غيره بالأكل مما يليه. اهـ.

ومن تتبع تعاليم الإسلام كلها وجد الطب الوقائي ركيزة أساسية فيه، فالوضوء والغسل والصلاة والصوم وغيرها لها فوائد عظيمة في الطب الوقائي.

٤ - الوقاية في الشرب: كما بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوقاية في الشرب، كما عند البخاري - «الفتح» (١٠) (٥٦٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٠٢٣) - عن

أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اختناث الأسقية، يعني: أن تكسر أفواهها فيشرب منها (وتأويل النهي عن ذلك أن الشرب من أفواهها ربما ينتنها فإن أدامة الشرب هكذا مما يغير ريحها وقيل: إنه لا يؤمن أن يكون فيها حية أو شيء من الحشرات، قال ابن الأثير: وقد جاء في حديث آخر إباحته، قال: ويحتمل أن يكون النهي خاصا بالسقاء الكبير دون الصغير).

٥- الوقاية الروحية: ولم يقف الطب الوقائي في الإسلام على الجانب البدني، بل تميز أنه جمع معه الوقاية الروحية بحسن التوجه إلى الله، وطلب الدعاء بالوقاية والنجاة، كما أخرج أحمد (١٦٩/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٨٣/١): (إسناده صحيح، عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه ذكر الصلاة يوماً، فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف»).

ومن ذلك ما أخرج الترمذي وأبو داود عن أبان بن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن أبيه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من قال حين يصبح: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم - ثلاث مرات - لم تصبه في يومه فجاءة بلاء، ومن قالها حين يمسي لم تصبه فجاءة بلاء في ليلته»، ثم ابتلي أبان بالفالج، فرأى رجلاً حدثه بهذا الحديث ينظر إليه، فقال له: ما

لك تنظر إلي؟ فوالله ما كذبت على عثمان، ولا كذب عثمان على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن نسيت اليوم [الذي] أصابني هذا، فلم أقله ليمضي الله قدره»^(١). أخرجه الترمذي، وأبو داود. إلا أن في آخر حديث أبي داود: «ولكن اليوم الذي أصابني فيه [ما أصابني] غضبت، فنسيت أن أقولها»، وقدم فيه ذكر المساء على الصباح، وأخرجه في رواية أخرى، ولم يذكر «الفالج».

ومنه أيضا: ما أخرج الترمذي وأبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا فزع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعذابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنها لن تضره»، وكان عبدالله يلقنها من بلغ من أولاده، ومن لم يبلغ منهم، كتبها في صك، وعلقها في عنقه». وغير ذلك مما هو مبثوث في كتب السنة، أو كتب الأذكار وأعمال اليوم والليلة.

لقد امتاز فقه الوقاية في الإسلام أنه فقه مستمد من الوحي الذي لا يخطئ، كما أنه جمع بين الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله، وأنه خاطب العقل والروح معاً.

يقول أحد المختصين ولعل المسلمين يتتبعون لفقه الوقاية في حياتهم وينفعون به، وأن لا يقف الأمر عند الدراسات العليا والكتب والبحوث، بل يكون له تأثير في حياة الناس من خلال البرامج الصحية والعملية.

(١) أخرجه الترمذي، وأبو داود.

وهدي نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أكمل هدي عني بحفظِ الصِّحَّةِ والوقاية من الأمراض، قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: (ومن تأمَّلَ هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَهُ أَفْضَلَ هَدْيٍ يُمَكِّنُ حِفْظَ الصِّحَّةِ بِهِ، فَإِنَّ حِفْظَهَا مَوْقُوفٌ عَلَى حُسْنِ تَدْبِيرِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، وَالْمَلْبَسِ وَالْمَسْكَنِ، وَالْهَوَاءِ وَالنَّوْمِ، وَالْيَقَظَةِ وَالْحَرَكََةِ وَالسُّكُونِ، وَالْمَنَكْحِ وَالِاسْتِفْرَاحِ وَالِاخْتِبَاسِ، فَإِذَا حَصَلَتْ هَذِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُعْتَدِلِ الْمُوَافِقِ الْمَلَائِمِ لِلْبَدَنِ وَالْبَلَدِ وَالسَّنِّ وَالْعَادَةِ، كَانَ أَقْرَبَ إِلَى دَوَامِ الصِّحَّةِ أَوْ غَلَبَتِهَا إِلَى انْقِضَاءِ الْأَجْلِ) ^(١). انتهى.

ولقد شرعَ اللهُ الْوِقَايَةَ مِنَ الْأَمْرَاضِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفُؤُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والوقايةُ من الأمراضِ في ديننا تقومُ على قواعدٍ من التحصُّنِ الدِّينِيِّ والدُّنْيَوِيِّ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَدْ اتَّفَقَ الْأَطْبَاءُ عَلَى أَنَّهُ مَتَى أُمَكَّنَ التَّدَاوِي بِالْغِذَاءِ لَا يُعَدَّلُ عَنْهُ إِلَى الدَّوَاءِ) ^(٢). انتهى.

ومن الجوانبِ الْوِقَايَةِ الصِّحِّيَّةِ مَا يَلِي:

أولاً: قراءة آية الكرسي حين تُصْبِحُ وَحِينَ تُمَسِي، (عن محمد بن أبي بن كعبٍ عن أبيه، أَنَّهُ كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شَبِهَ الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ:

(١) «زاد المعاد» (٤/ ١٧٠).

(٢) «الطب النبوي» لابن القيم.

ما أنت، جنِّي أم إنسي؟ قال: لا بل جنِّي، قال: فناولني يدك، فناوله يده، فإذا يده يد كلب، وشعره شعر كلب، قال: هكذا خلق الجن، قال: قد علمت الجن أن ما فيهم رجل أشد مني، قال: فما جاء بك؟ قال: بلغنا أنك تحب الصدقة، فجئنا نصيب من طعامك، قال: فما يُجينا منكم؟ قال: هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [الآية: ٢٥٥]، من قالها حين يمسي أُجِرَ مِنَّا حتى يُصبح، ومن قالها حين يُصبح أُجِرَ مِنَّا حتى يمسي، فلمَّا أَصْبَحَ أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك له، فقال: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»^(١).

ثانياً: قراءة سور الإخلاص والمعوذتين ثلاث مرات في الصباح والمساء، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال: خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيَ لَنَا، قال: فأدركته، فقال: «قُلْ»، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قُلْ»، فلم أقل شيئاً، قال: «قُلْ»، فقلت ما أقول؟ قال: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»، والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء^(٢).

قال الشوكاني رحمه الله: (وفي الحديث دليل على أن تلاوة هذه السور عند المساء وعند الصباح تكفي التالي من كل شيء يخشى منه كائناً ما كان). انتهى.

(١) رواه الطبراني في «الكبير»، وقال الهيثمي: (رجاله ثقات).

(٢) وحسن إسناده ابن باز رحمه الله.

ثالثاً: قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآيتان من آخر سورة البقرة مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»^(١). قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: (والمعنى والله أعلم: كَفَتَاهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ). انتهى.

رابعاً: قول: «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، ثلاث مرّات، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ»، وكان أبان -أي الراوي- قد أصابه طَرْفٌ فَالِحٌ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتَنِي، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيَمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدْرَهُ^(٢)، وفي رواية: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تَفْجَأْهُ فَاجِئَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي لَمْ تَفْجَأْهُ فَاجِئَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ»^(٣).

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: (وفي الحديث دليل على أن هذه الكلمات تدفع عن قائلها كل ضرر كائن ما كان، وأنه لا يُصَابُ بشيءٍ في ليله ولا في نهاره إذا قالها في الليل والنهار). انتهى.

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه الترمذي وصححه ابن القيم.

(٣) رواه ابن جبان وحسنه البغوي.

قال البهلؤلُ بنُ راشدٍ (ت ١٨٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ: (أَقَمْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، الْخ، فَأَنْسِيْتُهَا يَوْمِي مَعَ الْعَكِيِّ، فَاَبْتَلَيْتُ)، ابْتَلَيْ رَحِمَهُ اللهُ بِسَجْنٍ وَضَرَبِ الْأَمِيرِ الْعَكِيِّ لَهُ.

خامساً: قولُ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمَسِّي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ»، قَالَ سَهَيْلٌ: فَكَانَ أَهْلُنَا تَعَلَّمُوهَا فَكَانُوا يَقُولُونَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ، فَلِدَغَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعًا^(١)، وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَعْتَنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»^(٢).

سادساً: التَّصَبُّحُ بِسَبْعِ تَمْرَاتٍ عَجْوَةٍ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَبَّحَ سَبْعَ تَمْرَاتٍ عَجْوَةٍ، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُومٌ وَلَا سِحْرٌ»^(٣).

سابعاً: الْحِمِيَّةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤) [الأعراف: ٣١]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: (قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: جَمَعَ اللَّهُ الطَّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾). انتهى.

(١) رواه الترمذي وحسنه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (فَحِفْظُ الصِّحَّةِ كُلُّهُ فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ الْإِلَهِيَّتَيْنِ) ^(١).
انتهى.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَابْسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ» ^(٢).
وعن وَهْبِ بْنِ مُنْبِهِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (أَجْمَعَتِ الْأَطْبَاءُ أَنَّ رَأْسَ الطَّبِّ الْحِمِيَّةُ) ^(٣).
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَمَّا الْحَدِيثُ الدَّائِرُ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ:
«الْحِمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ، وَالْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، وَعَوَّدُوا كُلَّ جِسْمٍ مَا اعْتَادَ»، فَهَذَا
الْحَدِيثُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَلَامِ الْحَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ طَبِيبِ الْعَرَبِ، وَلَا يَصِحُّ رَفْعُهُ إِلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَيْمَةِ الْحَدِيثِ) ^(٤). انتهى.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ
أَكْلَاتٍ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَتُلْتُ لَطْعَامِهِ، وَتُلْتُ لَشْرَابِهِ، وَتُلْتُ
لنَفْسِهِ» ^(٥).

ثامناً: السَّوَاكُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ،
مَرَضَةٌ لِلرَّبِّ». رواه البخاريُّ.

وقد أثبت العِلْمُ الْحَدِيثُ فَوَائِدَ السَّوَاكِ لِلْفَمِ وَالْأَسْنَانِ، مِنَ التَّنْظِيفِ

(١) «زاد المعاد» (٤/ ٢١٤).

(٢) رواه النسائيُّ وحسنه الألباني.

(٣) رواه ابنُ الدنيا.

(٤) «زاد المعاد» (٤/ ١٠٤).

(٥) رواه الترمذيُّ، وقال: حسنٌ صحيحٌ.

ومقاومة الجراثيم والتسوس، وأنه يفوق في فوائده جميع المركبات الكيميائية المصنعة في معاجين الأسنان.

تاسعاً: الحذر من الأمراض المعدية بقدر الله، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»^(١)، والجذام: علة تتأكل منها الأعضاء وتتساقط.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يورد ممرض على مصحح»^(٢).
فنفي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يعتقد أهل الجاهلية من أن العدوى تنتقل بنفسها وتؤدي بطبعها لا بقدر الله، وأثبت أنها تنتقل إذا شاء الله ذلك.

عاشراً: عدم الشرب من فم القربة، قال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشرب من فم القربة أو السقاء»^(٣)، وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يشرب من في السقاء لأن ذلك يئنه»^(٤).

الحادي عشر: غسل اليد من الطعام قبل النوم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من نام وفي يده غمر ولم يغسله، فأصابه شيء، فلا يلومن إلا نفسه»^(٥).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وقوى إسناده ابن حجر.

(٥) رواه أبو داود وصححه ابن حجر.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: (الغَمْرُ بالتَّحْرِيكِ: الدَّسَمُ والزُّهُومَةُ مِنَ اللَّحْمِ، كالوَضْرِ مِنَ السَّمَنِ). انتهى.

قال القاري: (والمعنى: وصله شيءٌ من إيداء الهوامِّ، وقيل: أو من الجانِّ؟ لأنَّ الهوامَّ وذواتِ الشُّمومِ ربَّما تَقْصِدُهُ في المنامِ لرائحةِ الطَّعامِ في يَدِهِ فتؤْذِيهِ). انتهى.

الثاني عشر: عدم النوم فوق سطح ليس له جدار، قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَارٌ - أَي: حِجَابٌ - فَقَدْ بَرَّتْ مِنْهُ الدَّمَةُ»^(١)، فالنائمُ قد ينقلبُ، وقد يمشي وما زال أثر النوم فيه فيسقط.

الثالث عشر: نفض الفراش قبل النوم فيه، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيَسِّمِ اللهُ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ...»^(٢).

قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: (ومعناه أنه: يُسْتَحَبُّ أَنْ يَنْفُضَ فِرَاشَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ لِئَلَّا يَكُونَ قَدْ دَخَلَ فِيهِ حَيَّةٌ أَوْ عَقْرَبٌ أَوْ غَيْرُهُمَا مِنَ الْمُؤْذِيَاتِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَلِيَنْفُضَ وَيَدَهُ مَسْتَوْرَةً بِطَرَفِ إِزَارِهِ لِئَلَّا يَحْصُلَ فِي يَدِهِ مَكْرُوهٌ إِنْ كَانَ شَيْءٌ هُنَاكَ). انتهى.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْوَبَاءُ مَرَضٌ عَامٌّ يُفْضِي إِلَى الْمَوْتِ غَالِبًا). انتهى.

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

الرابع عشر: غَمَسُ الذُّبَابِ إِذَا سَقَطَ فِي الشَّرَابِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالْأُخْرَى شِفَاءً»^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (واعلم أنَّ في الذُّبَابِ عِنْدَهُمْ قُوَّةٌ سُمِّيَتْ يَدُلُّ عَلَيْهَا الْوَرْمُ، وَالْحِكْمَةُ الْعَارِضَةُ عَنْ لَسَعِهِ، وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ السَّلَاحِ، فَإِذَا سَقَطَ فِيهَا يُؤْذِيهِ، أَنْقَاهُ بِسَلَاحِهِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقَابَلَ تِلْكَ السُّمِّيَّةَ بِمَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي جَنَاحِهِ الْآخِرِ مِنَ الشِّفَاءِ، فَيُغْمَسُ كُلُّهُ فِي الْمَاءِ وَالطَّعَامِ، فَيُقَابَلُ الْمَادَّةَ السُّمِّيَّةَ الْمَادَّةَ النَّافِعَةَ، فَيُزُولُ ضَرَرُهَا)^(٢). انتهى.

الخامس عشر: عدم القدوم على أرض الطاعون، وعدم الخروج من البلد الذي وقع فيه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَيَّ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَيَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ»^(٣)، ففي الحديث اجتناب المهالك وعدم تعريض النفس للحتف، إذ قدَّرَ اللَّهُ أَنْ دَخُولَ الْبَلَدِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الطَّاعُونُ سَبَبٌ لِلْإِصَابَةِ بِهِ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَهِيَ لَا تُعَارِضُ التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

السادس عشر: الدُّعَاءُ بِمَا وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي

(١) رواه البخاري.

(٢) «الطب النبوي» لابن القيم (ص ٨٤).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

أعوذُ بك من البرص، والجُنون، والجُدَام، ومن سَيِّئِ الأَسْقَامِ»^(١)، ومثل دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأعوذُ بك من الصَّمَمِ، والبَكَمِ، والجُنونِ، والجُدَامِ، والبرصِ، وسَيِّئِ الأَسْقَامِ»^(٢).

وقد اهتمَّ الإسلامُ بِصِحَّةِ الإنسانِ أيَّما اهتمام، تُلكم النعمة العظيمة التي وهبها الله للإنسان، فاعتنى بها، وذكر الإنسان بأهميتها وعظيم شأنها، فيقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغُ»^(٣)، والغبنُ: أنهم لم يستغلوا تلك الصحة فيما ينفع العبد.

وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من مُنح تلك الصحة والعافية فإنه في نعمةٍ عظيمة تعدل الدنيا بأكملها، فيقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، مُعافيًا في جسده، عند قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا»^(٤).

وأمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلم أن يغتتم هذه النعمة قبل فوات وقتها، وأن يستغلها فيما يُصلح دينه ودنياه فيقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اغتنم خمسًا قبل خمس، اغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك»^(٥).

(١) رواه أبو داود وصحَّحه الألباني.

(٢) رواه الحاكم، وصحَّحه الضياء في «المختارة».

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد».

(٥) «صحيح الترغيب والترهيب» للمنذري.

ولقد تنوعت مظاهر الاهتمام بصحة الإنسان في الإسلام، فلم تقتصر على الجسد وحده؛ بل تعدت إلى صحة العقل، والصحة النفسية. فأما صحة الأبدان فإنَّ الإسلام قد اهتم بها من خلال أمور عظيمة، فأول ذلك: حثه على النظافة، وأمره بها؛ لأنَّ النظافة من أسباب صحة الأبدان، فأخبرنا جَلَّ وَعَلَا أنه أنزل من السماء ماءً طهورًا، هذا الماء الطهور هو نظافة للأبدان، وسلامة لها.

وأخبرنا جَلَّ وَعَلَا أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].



عناية الإسلام بالعقل

ينوه الإسلام تنويرها كبيرًا بالعقل، ويعلي من مكانته وقيمته، ويحفل به وبوسائل الإدراك -بعمامة- ونجد شاهدًا على ذلك في الآيات القرآنية الكريمة التي تواردت بشأنه.

وينبئك عن هذا أن مشتقات كلمة «العقل» تكررت في القرآن الكريم حوالي سبعين مرة.

وأما الآيات التي تتصل بالعمليات العقلية، وتحت على النظر والتفكير والتدبر والتبصر في آيات الله في الأنفس والآفاق، وفي حوادث التاريخ، وأحكام التشريع، وتتوجه بالخطاب لأولي الألباب... فقد بلغت من الكثرة حداً أعطى الإسلام ميزة بين كل المذاهب والشرائع.

فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع، ولا في العقل المدرك الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح. بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة.

فإذا تلمسنا شاهداً على ذلك في أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كالتى تحت على العلم وتبين فضله ومكانته، وترسم منهج البحث والنظر، وتدعو للتبصر والفهم والفقہ... وجدناها تأخذ مساحة أوسع، في كتب الحديث الشريف، وتجعل الإسلام -بحق- دين العلم والعقل كما أنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ونوجز فيما يلي الكلام على قيمة العقل ومكانته في الإسلام، بخطوط سريعة وكلمات موجزة تشير إلى ما وراءها من اهتمام وعناية: فالعقل هو هبة الله العظمى ومنحته لهذا الإنسان، به أكرمه وميزه على سائر المخلوقات، فأعطاه المفتاح الذي يفتح به أبواب الملكوت، ويدخل ساحة الإيمان بالله الذي سخر للإنسان كل ما في السماوات والأرض. ولذلك امتن الله تعالى على الناس بهذا العقل، وجعله موضوع المسؤولية، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولذلك جعل الله تعالى العقل مناط التكليف وسبباً له؛ فالخطاب الشرعي لا يتوجه إلا للعاقل؛ لأن العقل أداة الفهم والإدراك، وبه تتوجه الإرادة إلى الامتثال؛ ولذلك قال بعض السلف: (العقل حجة الله على جميع الخلق). ومن هنا جاءت أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترفع القلم - أي التكليف والمواخذة - عن من فقدوا مناط التكليف، وهو العقل بسبب الجنون أو ما يأخذ حكمه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم». وفي لفظ آخر: «وعن المعتوه حتى يعقل».

والبحث في هذا نجده مفصلاً عند علماء الأصول في مبحث الأهلية

وعوارضها أو في مبحث المحكوم عليه؛ ولذلك شرع الإسلام من الأحكام ما يحافظ فيها على العقل باعتباره واحداً من الضروريات الخمس، التي أنزلت الشرائع للمحافظة عليها، وهي: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال.

فأوجب الإسلام العلم، وكل ما به قوام الحياة، وهي تعود على العقل بالحفظ، وحرم كل ما يذهب العقل أو يزيله، كالخمر والمخدرات وسائر المسكرات، ولأنها تصيب العقل بأفة تجعل صاحبه عبئاً على المجتمع ومصدر شر وأذى للناس.

ويحث الإسلام العقل على العمل فيما خلق له، وفي المجال الذي يستطيعه، فلا يجوز إهماله ولا تعطيله، فهو يحث على النظر والتدبر والتأمل والتفكير في آيات الله تعالى المقروءة، والمنظورة في الأنفس والآفاق وفي مجال عالم الشهادة، والآيات في ذلك كثيرة تعز على الحصر.

ويرسم الإسلام للعقل المنهج الصحيح للعمل والتفكير، ويرفع من أمامه العوائق والموانع التي تعطله عن وظيفته كاتباع الظن والأوهام والخرافة، أو الخضوع لسيطرة العادات والتقاليد، أو تقليد الآباء والمشايخ والطغاة... وبذلك يتحرر العقل حرية حقيقية كاملة، ويقوم بعملية التثبت والتبين قبل الإقدام أو الاعتقاد والتصديق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسِقٌ يُنَادِي فِتْنُونًا﴾ [الحجرات: ٦].

ثم يحيل الإسلام على العقل - مع أدلة أخرى - في القضايا الكبرى الرئيسية، فهو يهدي - عند النظر الصحيح - إلى معرفة الله تعالى ووحدانيته، ويقيم الأدلة على صحة النبوة والبعث بعد الموت، فيكون إدراك هذه القضايا إدراكا كلياً عاماً وقبولها بالعقل.

وشواهد ذلك من القرآن والسنة وكلام العلماء كثيرة، لا يتسع المقام للإفاضة فيها. فحسبنا هذه الإلماعة نختم بها هذه الفقرة عن قيمة العقل ومكانته في الإسلام.

وقد يدفع هذا القول بعض الناس ليظن أن هذه العناية بالعقل والإعلاء لمكانته تبيح لنا أن نجعل منه مصدراً نستقي منه العقيدة، أو نجعله حاكماً عليها، يقبل منها ما يدركه، ويرفض ما لا يدركه أو ما لا يحيط به علماً.

وهذه قضية منهجية جد خطيرة، تحتاج إلى فضل بيان، توضع فيه الأمور في نصابها الصحيح دون إفراط ولا تفريط:

(لو كان الله سبحانه، وهو أعلم بالإنسان وطاقاته كلها، يعلم أن العقل البشري، الذي وهبه الله تعالى للإنسان، هو حسب هذا الإنسان في بلوغ

الهدى لنفسه والمصلحة لحياته، في دنياه وآخرته، لوكله إلى هذا العقل وحده، يبحث عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق، ويرسم لنفسه كذلك المنهج الذي تقوم عليه حياته، فتستقيم على الحق والصواب، ولما أرسل إليه الرسل على مدى التاريخ، ولما جعل حجته على عباده هي رسالة الرسل إليهم، وتبليغهم عن ربهم...

ولكن لما علم الله - سبحانه - أن العقل الذي آتاه للإنسان أداة قاصرة بذاتها عن الوصول إلى الهدى - بغير توجيه من الرسالة وعون وضبط - وقاصرة عن رسم منهج للحياة الإنسانية، يحقق المصلحة الصحيحة لهذه الحياة، وينجي صاحبه من سوء المآل في الدنيا والآخرة. لما علم الله - سبحانه - هذا: قضت حكمته ورحمته أن يبعث الرسل وألا يؤاخذ الناس إلا بعد الرسالة والتبليغ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] (١).



(١) الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٦)، من

رجب إلى شوال لسنة ١٤١٦هـ، (٤٦/٢٩٤).

عناية الإسلام بصحة العقل

اهتم الإسلام بصحة العقل كيف لا وهو مناط التكاليف الشرعية، وهو إحدى الضرورات الخمس الكبرى التي ينبغي المحافظة عليها، ولا توجد عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني وتعزز به وتعتمد عليه في ترسيخها كالعقيدة الإسلامية.

تعريف العقل لغة واصطلاحاً:

ويُعرف العقل لغة: (الحجر والنُّهى.. ورجل (عَاقِل) و(عَقُول)، وقد (عَقَلَ) من باب ضرب، و(مَعْقُولًا) أيضًا هو مصدر. و(العقلُ) أيضًا الديه و(الْعَقُولُ) بالفتح، الداء الذي يمسك البطن) ذلك حسب «مختار الصحاح» للرازي. وورد في «مقاييس اللغة»: (وهو الحابس عن ذميمة القول والفعل. قال الخليل: العقل: نقيض الجهل. يقال عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا، إذا عرف ما كان يجعله قبل، أو أنزجر عما كان يفعل. وجمعه عَقُول. ورجل عَاقِل وقوم عُقلاء وعَاقِلون. ورجل عَقُول، إذا كان حسن الفهم وافر العقل... ومن الباب الْعَقْل وهي الديه).

أما في الاصطلاح: (أنه أداة الإدراك والفهم، والنظر والتلقي، والتمييز والموازنة، وهو وسيلة الإنسان لأداء مسؤولية الوجود والفعل، في عالم الشهادة والحياة)^(١).

(١) «أزمة العقل المسلم»، د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان، (ص ١١٩).

ويذكر الحافظ ابن أبي الدنيا تعريف الحارث المحاسبي فيقول: (إنه غريزة وضعها الله سبحانه في أكثر خلقه، لم يطلع عليها العباد بعضهم مع بعض، ولا أطلعوا عليها من أنفسهم برؤية ولا بحس، ولا بذوق ولا طعم، وإنما عرفهم الله إياها - يعني غريزة العقل -) (١).

لذلك يقول شيخ الإسلام جامعاً المعاني السابقة: (والعقل في لغة العرب عَرَضٌ هو علم، أو عمل بالعلم، وغريزة تقتضي ذلك) (٢).

ويقول رَحْمَةُ اللَّهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: (وهكذا لفظ (العقل) يراد به الغريزة التي بها يعلم، ويراد بها أنواع من العلم. ويراد به العمل بموجب ذلك العلم) (٣).

ومن حفظ الإسلام لصحة العقل وصيانتته:

١ - حماية عقل الإنسان من الخرافات والخزعبلات التي أوجدها البشر مخالفين بذلك أمر الله تعالى وأمر رسله عليهم السلام، ومن ذلك الشرك والكفر بالله تعالى وعبادة غير الله تعالى، فبعث الله تعالى الرسل وأنزل الكتب لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة العزيز الوهاب، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(١) «العقل وفضله واليقين» للحافظ ابن أبي الدنيا، (ص ١٢).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية، (١٠/٣٠٢).

(٣) «مجموع الفتاوى»، مرجع سابق، (٧/٥٣٩).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة بذلك أيضا، والمشركون لا برهان لهم، وحجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد). انتهى.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: (فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة).

٢- المحافظة عليه والنهي عن كل ما يؤثر في سيره أو يغطيه فضلا عما يزيله.

فحرم ذلك شرب الخمر ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، وحرّم كل مسكر «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام»^(١).

ولذلك حرم الإسلام المخدرات والمسكرات وما في مقامهما؛ لأن تعاطي هذه المواد تسبب ضرراً بالغاً على صحة الإنسان فقد تسبب القتل أو التسبب بإصابات خطيرة وأمراض نفسية خطيرة.

وتمتد آثار تعاطي المخدرات لتشمل جميع أجهزة الجسم، ومن أهم

(١) رواه مسلم.

وأسرع الأعضاء التي تتأثر بإدمان أو تعاطى المواد المخدرة هي الدماغ؛ لأن المواد الكيميائية التي يحتوي عليها المخدر تستهدف زيادة كمية الدوبامين الذي يتحكم في مراكز الشعور بالجسم، مما يغير من كيفية عمل خلايا المخ، ويؤثر على قدرة الشخص على اتخاذ القرارات المختلفة، ويدفعه بمرور الوقت إلى تجربة أنواع جديدة من المخدرات، أو زيادة جرعة التعاطي.

أضرار إدمان المخدرات لا تقتصر على الفرد فقط، بل تمتد لتشمل العائلة والأصدقاء والمجتمع ككل، وتتنوع ما بين أضرار صحية واقتصادية وأمنية.

على المستوى الصحي، تتلخص الكارثة في أن مشاركة أكثر من شخص في تعاطي المخدر عن طريق الحقن يسبب انتشار الأمراض الخطيرة مثل الإيدز، والتهاب الكبد الفيروسي، وغيرها من الأمراض الأخرى المعدية.

أما بالنسبة للمستوى الاقتصادي للمجتمع، فكلما ارتفع عدد المدمنين كلما تدهور الاقتصاد؛ لأن الشخص المدمن لا يستطيع العمل بدوام كامل، خاصة وإن كانت مهنته تعتمد على القوة والتركيز؛ لأن ارتكاب أي خطأ ولو كان بسيطاً قد يسبب كوارث كبيرة، وهو ما يقلل من الإنتاجية والكفاءة.

وبالانتقال إلى أمن وسلامة الآخرين، فمن أسوأ الجرائم التي قد يرتكبها الشخص المدمن، التعامل بعنف شديد مع الأهل، بالإضافة إلى الاعتداء الجسدي على الآخرين في أي وقت، وكذلك سرقة الأموال والممتلكات، وهو ما يفاقم من أضرار المخدرات وأثرها على المجتمع.

ويمكن تقسيم أضرار المخدرات على الفرد إلى ثلاثة أنواع، وهم:

- ١ - الأضرار الصحية: وتتمثل في الأمراض التي يصاب بها بعد مرور فترة على تعاطي المخدر، مثل: السكتات القلبية، والفشل الكلوي، والإيدز.
- ٢ - الأضرار النفسية: وهي التي تتلخص في الشعور ببعض الاضطرابات النفسية مثل القلق الدائم، والاكتئاب الشديد، والشعور بالحزن، والرغبة في العزلة عن الآخرين.
- ٣ - أضرار المخدرات الاجتماعية: وتتلخص في تدني نظرة المجتمع والأشخاص المحيطين للمدمن، بالإضافة إلى وصمة العار التي تلحق بالشخص طوال حياته.

أضرار المخدرات على الأسرة:

الأطفال الذين يتعاطى أحد آبائهم المخدرات باستمرار هم أكثر عرضة للإيذاء الجسدي الناتج عن السلوكيات العنيفة الصادرة عن الأم أو الأب المدمن، كما أنهم يعانون من الإهمال الدائم لانشغال الأهل عنهم بتعاطي المخدرات، وقد خلصت نتائج الأبحاث التي أجريت في هذا الشأن إلى أن الآباء المدمنين يمنحون المخدرات أفضلية على حساب صحة ورعاية أطفالهم.

ومن أصعب أضرار المخدرات على الأسرة التفكك العائلي الذي يحدث بسبب قلة الثقة بين الزوجين، والتصرف بعنف دائم، مع عدم الاكتراث

بمصلحة الأبناء، وتدهور الوضع الاجتماعي للعائلة، فتنشأ رغبة قوية لدى المرأة بالانفصال عن الزوج والابتعاد عنه، ولأن الجرعات الزائدة من المخدر تسبب الوفاة المفاجئة، فقد تحدث صدمة نفسية قوية لدى أحد أفراد الأسرة جراء وفاة الشخص المدمن سواء كان الأب أو الأم أو أحد الأشقاء، وهو ما يتطلب الخضوع إلى علاج نفسي لفترة طويلة من الوقت^(١).

يقول محمد أحمد الشحي: (مكانة العقل في الإسلام كبيرة، ومنزلته رفيعة، فهو مناط التكليف، ومن أعظم النعم والتشريف، وقد امتن الله به على الإنسان؛ لأنه يميز به بين النافع والضار، ويدرك به التكاليف الشرعية، ويتدبر به الآيات القرآنية، ويفهم به الأحاديث النبوية، ويجتهد به في أموره الدنيوية، فهو واسطة لا غنى للإنسان عنها في إدراك أمور دينه ودنياه، ولهذا، اعتنى الإسلام به عناية كبرى؛ نظرًا لأهميته فمن مظاهر عناية الإسلام بالعقل:

أولاً: إنه اعتبر العقل إحدى الضرورات الخمس الكبرى التي ينبغي المحافظة عليها، وحرّم كل ما يضر بالعقل ويغيّبه، كالخمور والمسكرات والمفترّات، وشرع العقوبات الرادعة لمن يتعاطى ذلك، حفاظًا على هذه النعمة العظيمة.

ثانيًا: إنه دعا العقل إلى اتباع البرهان، وأمر بنبذ الجهل والهوى والكبر والتعصب والتقليد الأعمى والجدل بالباطل والخرافات والأوهام والسحر

(١) موقع مجمع الأمل للصحة النفسية بالشبكة العنكبوتية.

والشعوذة والدجل؛ لأن هذه الآفات كلها تعطل العقل عن وظيفته، فيتمسك صاحبه بالخطأ ولو ظهر عواره، ويُعرض عن الصواب، ولو استبان أنواره، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

ثالثاً: إنه دعا العقل إلى التفكير والتأمل، سواء كان التفكير في نصوص الشرع بحسن فهمها والعمل بها، أو التفكير في مجالات الكون الفسيح، وما أودع الله فيه من عجائب المصنوعات، الدالة على وحدانيته وعظمته وجلاله، والقرآن مليء بالآيات الداعية إلى النظر في سنن الكون وقوانين الحياة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، وعندما أنزلت على نبينا الكريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠]، كان في حال عجيبة من التأثر، حيث سئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: «يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي»، قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لم تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً

شكوراً؟» لقد نزلت عليّ الليلة آيةً، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية.

وقد عاب الله على من يعطلون عقولهم عن وظائفها، ولا يسخرونها في التفكير، سواء في آياته الشرعية، كما في قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، أو في آياته الكونية، كما في قوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥].

رابعاً: إن القرآن حافل بالحجج العقلية الدامغة على توحيد الله وصدق رسله وإثبات المعاد وغير ذلك، فمن ذلك على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]، فهذا برهان عقلي قاطع، أي: إما أن يكونوا خلقوا من العدم، ومعلوم أن العدم لا يخلق شيئاً؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وإما أن يكونوا خلقوا أنفسهم، وهم يعلمون أنهم لم يخلقوا أنفسهم، فلا يبقى إلا أن لهم خالقاً، هو الله تعالى.

خامساً: إن الإسلام دعا إلى تنمية العقول بالحث على التعلم والاستزادة منه؛ لأن العلم زاد العقول، والنصوص الشرعية حافلة بالحث على طلب العلم، وبيان كثرة فضائله ومزاياه، وقد صنف العلماء الكثير من المصنفات التي تتناول ذلك.

سادساً: إنه حث العلماء على إعمال العقول بالاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية في الحوادث والنوازل المستجدة، وذلك في مختلف

الأزمة والأمكنة، وفق ضوابط وشروط مذكورة في مواضعها، يقول النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ؛ فَلَهُ أَجْرٌ».

سابعاً: إن الشرع قائم على جلب المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها، ومرجع ذلك إلى الشرع والعقل اللذين هما أخوان نصيران، يقول ابن القيم: «الشريعة عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالحٌ كلها، وحكمةٌ كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة».

ثامناً: إنه تعامل مع العقل تعاملًا واقعيًا، فاعترف بقصوره، وحث على تكميله، ومن هنا، جاء الحث على المشاورة، لتكامل العقول وتجتمع الآراء، ومن رحمة الله بعباده، أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لهدايتهم إلى تفاصيل ما لا تهتدي إليه العقول، بما يتوافق مع فطرتهم السليمة... ولا يتعارض مع عقولهم المستقيمة، فكل ما هو من مقتضيات العقل الصحيح، فليس في الشرع ما يعارضه البتة، ولذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (الكتاب المنزّل والعقل المدرك حجّة الله على خلقه)^(١).



(١) مدير عام مؤسسة رأس الخيمة للقرآن الكريم وعلومه رئيس مركز جلفار للدراسات

والبحوث - مجلة البيان دبي التاريخ: ٥٥ نوفمبر ٢٠١٥ م.

عناية الإسلام بالمسنين^(١)

إن من المكارم العظيمة، والفضائل الجسيمة البر والإحسان إلى كبار السن، ورعاية حقوقهم، والقيام بواجباتهم، وتعاهد مشكلاتهم، والسعي في إزالة المكدرات والهموم والأحزان عن حياتهم، إن هذا من أعظم أسباب التيسير والبركة، وانصراف الفتن والمحن والبلايا والرزايا عن العبد، وسبب للخيرات والبركات المتتاليات عليه في دنياه وعقباه، لقد جاء في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا تُنصرون بضعفائكم»^(٢).

وقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابغوني ضعفاءكم؛ فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»^(٣).

فمن هؤلاء الضعفاء في المجتمع الإنساني المُسنُّ؛ لأنه يصاحب المرء مرحلة الكبر ضعفٌ عام، بحيث تظهر بعض التغيرات على جسم الإنسان في حالة تقدمه في السن، مثل تجعد الجلد وجفافه، وثقل في السمع، وضعف في البصر والحواس بشكل عام، وبطء الحركة، وتغير لون الشعر، وما يحدث من ضعف في العظام، وانخفاض لحرارة الجسم، وضعف الذاكرة والنسيان، وبروز هذه التغيرات يتطلب الرعاية بهم ومن الفضائل لكبار السن

(١) مقال بعنوان: «حقوق كبار السن في الإسلام»، رفيع الدين القاسمي شبكة الألوكة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) «السلسلة الصحيحة» للألباني.

في الإسلام، وما شرع لهم الإسلام من حقوق وواجبات، ولذا قال نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يرشدنا إلى حق الكبير: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا، فَلَيْسَ مِنَّا»^(١).

ومن حقوق المسن في الإسلام :

○ توقيره وإكرامه:

إن من تعاليم الإسلام في حق الكبير: توقيره وإكرامه، بأن يكون له مكانة في النفوس، ومنزلة في القلوب، وكان ذلك من هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه، وجعله من هديه وسماته وصفاته.

فقد أوجب نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احترام كبار السن، والسعي في خدمتهم؛ فرؤي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: جاء شيخ يريد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف ويَنه عن المنكر»^(٢).

كما أورد الهيثمي عن معاذ بن جبل: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا أتاكم كبير قوم فأكرموه»^(٣).

○ طيب معاملته:

إن من حقوق الكبير في الإسلام أن يُحسَن معاملته، بحسن الخطاب،

(١) السيوطي، «الجامع الصغير»، د. محمد الواصل، المعهد العلمي بالملز.

(٢) «سنن الترمذي»، كتاب البر والصلة، باب مما جاء في رحمة الصبيان، (١٩١٩).

(٣) «سنن الترمذي»، كتاب البر والصلة، باب مما جاء في رحمة الصبيان، (١٩١٩).

وجميل الإكرام، وطيب الكلام، وسديد المقال، والتودد إليه؛ فإن إكرام الكبير وإحسان خطابه هو في الأصل إجلال الله عَزَّجَلَّ؛ فقد جاء في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ: إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ»^(١).

وفي رواية عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا موقوفاً: عن ابن عمر، قال: (إِنْ مِنْ أَعْظَمِ إِجْلَالِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: إِكْرَامُ الْإِمَامِ الْمَقْسُطِ، وَذِي الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ)^(٢).

○ بَدْؤُهُ بِالسَّلَامِ:

إِنْ مِنْ حَقُوقِ كَبِيرِ السَّنِ إِذَا لَقِينَاهُ أَنْ نَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ مِنْ غَيْرِ انْتِظَارِ إِلْقَاءِ السَّلَامِ مِنْهُ؛ احْتِرَامًا وَتَقْدِيرًا لَهُ، فَسَارِعَ وَنَبَادَرَ بِإِلْقَاءِ السَّلَامِ عَلَيْهِ بِكُلِّ أَدَبٍ وَوَقَارٍ، وَاحْتِرَامٍ وَإِجْلَالٍ، بَلْ بِكُلِّ مَعَانِي التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ، بَلْ نَرَاعِي كِبَرَ سَنِهِ فِي إِلْقَاءِ السَّلَامِ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ وَلَا يُؤْذِيهِ.

فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «يَسْلَمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي»^(٣).

○ إِحْسَانُ خُطَابِهِ:

وَإِنْ مِنْ حَقُوقِ كَبِيرِ السَّنِ إِذَا حَدَّثْنَا كَبِيرِ السَّنِ أَنْ نَنَادِيهِ بِاللُّطْفِ خُطَابًا، وَأَجْمَلَ كَلَامًا، وَأَلَيْنَ بَيَانًا، نَرَاعِي فِيهِ احْتِرَامَهُ وَتَوْقِيرَهُ، وَقَدْرَهُ وَمَكَانَتَهُ، بِأَنْ

(١) «سنن ابن ماجه»، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، (٣٧١٢).

(٢) «شعب الإيمان»، في أفراد المصحف للقرآن، (٢٤٣٢).

(٣) باب تسليم القليل على الكثير، (٦٢٣١).

نخاطبه بـ «العم» وغيره من الخطابات التي تدل على قدره ومرتبته ومنزلته في المجتمع بـ كبر سنه.

فعن أبي أمامة بن سهل: قال: صلينا مع عمر بن عبدالعزيز الظهر، ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلي العصر، فقلت: يا عم، ما هذه الصلاة التي صليت؟ قال: العصر، وهذه صلاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي كنا نصلي معه^(١).

عن عبدالرحمن بن عوف أنه قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك إليه يا بن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا^(٢).

○ تقديمه في الكلام:

إن من حقوق الكبير في السن أن تقدمه في الكلام في المجالس، ونقدمه في الطعام، والشراب والدخول والخروج.

فقد ورد في الحديث النبوي الشريف: عن سهل بن أبي حثمة، قال:

(١) البخاري، باب وقت العصر، (٥٤٩).

(٢) البخاري، باب استحقات القاتل سلب القتل، (١٧٥٢).

انطلق عبد الله بن سهل، ومحبيصة بن مسعود بن زيد إلى خيبر، وهي يومئذ صلح، فتفرقا، فأتى محبيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشمط في دمه قتيلاً، فدفنه، ثم قدم المدينة، فانطلق عبدالرحمن بن سهل ومحبيصة وحوبيصة ابنا مسعود إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهب عبدالرحمن يتكلم، فقال: «كَبْرٌ، كَبْرٌ»، وهو أحدث القوم، فسكت، فتكلما^(١).

عن ابن عمر: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أراني أتسوك بسواك، فجاءني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغرَ منهما، فقيل لي: كَبْرٌ، فدفعته إلى الأكبر منهما»^(٢).

وكان لنا قدوة وأسوة أكابرنا وأما جدنا؛ لأن شباب الصحابة والتابعين كانوا في غاية الأدب، وفي غاية الاحترام للكبار، والتوقير والتقدير لهم، والقيام بحقوقهم.

ومن النماذج والأمثلة على ذلك: ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً لأصحابه: «إِن مِّن الشَّجَرِ شَجْرَةٍ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنهَا مِثْلُ الْمَسْلَمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟»، فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييتُ، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة»^(٣).

(١) البخاري، باب المواعدة والمصالحة، (٣١٧٣).

(٢) البخاري، باب دفع السواك إلى الأكبر، (٢٤٦).

(٣) البخاري، باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، (٦١).

○ الدعاء له:

وإن من إجلال الكبير وحقه علينا أن ندعو له بطول العمر، والازدياد في طاعة الله، والتوفيق بالسداد والصلاح، والحفظ من كل مكروه، والتمتع بالصحة والعافية، وبحسن الخاتمة، وحثَّ الله عزَّ وجلَّ الأبناء على الدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

لأن خيرَ الناس بموجب الحديث من طال عمره، وحسن عمله:
عن عبد الله بن بسر: أن أعرابياً قال: يا رسول الله، من خيرُ الناس؟ قال:
«مَن طال عمرُهُ، وحسن عمله»^(١).

بل جاء في حديث آخر: أن الله يصطفي من عباده بعضهم بإطالة العمر وإحيائهم في عافية إلى أن يقبض أرواحهم؛ فُروي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن لله عباداً يضمنُ بهم عن القتل، يطيل أعمارهم في حسن العمل، ويحسن أرزاقهم، ويحييهم في عافية، ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش، فيُعطيهم منازل الشهداء»^(٢).

لأن من طال عمره ازداد علمه وإنابته ورجوعه إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لأن الشباب شعبة من الجنون، فيزداد الرجل في الشباب في الشهوات واللذات، والشيخوخة موجب للخير والبركة، فلما يدنو العبد من الشيخوخة يتوجه

(١) رواه الترمذي، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن.

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني، باب، (١٠٣٧١).

إلى الله، فيذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه، ويحمده، ويسبّحه، ويهلّله ويكبره كلما سنحت له الفرصة.

وقيل: إن سليمان بن عبد الملك دخل مرة المسجد، فوجد في المسجد رجلاً كبير السن، فسلم عليه، وقال: يا فلان، تحبُّ أن تموت؟ قال: لا، ولم؟ قال: ذهب الشبابُ وشرُّه، وجاء الكِبَرُ وخيرُه، فأنا إذا قمت قلت: بسم الله، وإذا قعدت قلت: الحمد لله، فأنا أحب أن يبقى لي هذا^(١).

○ مراعاة وضعه وضعفه:

إن الإنسان في بداية عمره وعنقوان شبابه يكون غضاً، طرياً، طازجاً، لين الأعطاف، قوي العضلات، بهي المنظر، ثم يشرع في الكهولة، فتضعف قواه، فيتغير طبعه، ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يصير شيخاً كبير السن، ضعيف القوى، قليل الحركة، يعجز عن المشي والحركة السريعة، فيتقدم إلى الأمام بطيئاً، ويتوكأ على العصي، فصور الله عزَّ وجلَّ هذه الأحوال في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

يعني أن الإنسان يمر بثلاث مراحل رئيسية: ضعف، ثم قوة، ثم ضعف، ولكن هذا الضعف الأخير هو الشيخوخة والكهولة.

وقال في موضع آخر: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّعُ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾

[الحج: ٥].

(١) «العمر والشيب» لابن أبي الدنيا، حديث (٢٩)، مكتبة الرشيد، الرياض، ط ١، ١٤١٢ م.

﴿أَزْدِلِ الْعُمْرِ﴾ - كما ذكر المفسرون -: هو أخسُّه وأدونه، وآخره الذي تضعف فيه القوى، وتفسد فيه الحواس، ويختل فيه النطق والفكر، ويحصل فيه قلة العلم وسوء الحفظ، والخرف، وخصه الله بالرديلة؛ لأنه حالة لا رجاء بعده لإصلاح ما فسد^(١).

فعلينا أن نراعي صحة كبير السن، ووضع البدني والنفسي، بسبب الكبر والتجاوز في العمر؛ فإن هذه المرحلة من الحياة مستوجبة للعناية والاهتمام الكبير من الأقارب؛ فإن الضعف يسري ويجري في الإنسان كجريان الدم، فيضعف بدنه، وصحته، وحواسه، فما يصدر منه من خطأ فبمقتضى هذه السن المتقدمة، بل إن تصرفاته في هذه السن المتقدمة لكثرة وهنه وضعفه، بل ضعف قواه أشبه ما يكون بتصرفات الصغير.

فمن لم يستشعر هذا الأمر من الكبير يمل ويسأم منه، ويسيء معاملته، فمن المؤسف جداً أن بعض الأقارب والأبناء يذهب بوالده في مرحلة من هذا العمر -الذي يقتضي كثيراً من العناية والإحسان- إلى أماكن التأهيل، وأماكن رعاية الكبار، ويتركه ويطره هناك ويولي على عقبه، ولم يرع حقوقه، حتى الزيارة ولو غباً.

فعلينا أن نراعي حقوقهم، ولا نتركهم ولا نطرحهم في دور المسنين من غير رقيب ولا رفيق، بل يتعين علينا رعاية حقهم مقابلة الإحسان عندما كنا

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، (٢/٥٧٧)، دار الباز، مكة المكرمة.

صغيرين ضعفاء، فحملوا أعباءنا، وتحملوا مشاقنا، واهتموا برعايتنا كل الاهتمام حتى كبرنا وصرنا شباناً أقوياء، فأشار إلى حالنا الله عزَّجَل في كتابه العزيز: ﴿ وَوَضَعْنَا الْأِنْسَانَ بِيَدَيْهِ حَمَلَتُهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَيَّ وَهَنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ [لقمان: ١٤].

○ حقوق كبار السن على مراتب:

يقول الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، وهو يلقي الأضواء على حق كبير السن: (ثم إن هذا الحق يعظم ويكبر من جهة ما احتف به؛ فإذا كان قريباً فله حق القرابة مع حق كبر السن، وإذا كان جاراً، فإضافة إلى حقه في كبر سنه فله حق الجوار، وإذا كان مسلماً، فله مع حق كبر السن حق الإسلام، وإذا كان الكبير أباً أو جدّاً فالحق أعظم، بل إذا كان المسن غير مسلم فله حق كبر السن؛ إذ إن الشريعة جاءت بحفظ حق الكبير، حتى مع غير المسلمين، فلربما تكون رعايتك لحقه سبباً لدخوله في هذا الدين في مراحل حياته الأخيرة)^(١).



(١) عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، حقوق كبار السن في الإسلام (١٤).

عناية الإسلام بصحة المرأة والطفل

عنى الإسلام بالمرأة والطفل وأوصانا الله تعالى بهما، وأوصانا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهما وحث على التعامل الحسن واللطف بهما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

قال تعالى: ﴿وَأَنْتَوُا لِلنِّسَاءِ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً ﴿٤﴾﴾ [النساء: ٤].

وقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴿٧﴾﴾ [النساء: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وعن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم إني أخرج حق الضعيفين، اليتيم والمرأة»^(١) حديث حسن، رواه النسائي بإسناد جيد.

قوله: «إني أخرج» بالحاء المهلة من التحريج أو الإخراج، أي: أضييق على الناس في تضييع حقهما وأشدد عليهم في ذلك، والمقصود إشهاده تعالى في تبليغ ذلك الحكم إليهم وفي الزوائد المعنى أخرج عن هذا الإثم بمعنى أن

(١) حديث حسن، رواه النسائي بإسناد جيد.

يضع حقها، واحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا، وازجر عنه زجرًا أكيدًا، قاله النووي. قال: (وإسناده صحيح رجاله ثقات).

فهذا المعنى، وهذا حكم النووي على الإسناد. والله تعالى أعلم.

مراعاة الإسلام للصحة النفسية للمرأة:

١ - اضطرابات الحيض والآلام المصاحبة لها:

النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي الرحمة والهدى، لما أتته زوجته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضهاها وقد حاضت وهي تبكي، وهي تريد الحج خفف من روعها وقال لها: أن هذا ابتلاء من الله تعالى كتبه على بنات آدم كلهن، وقال لها افعلي ما يفعل الحاج غير الطواف، وإذا طهرت أحرمت وطافت.

عن عبدالرحمن بن القاسم، قال: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ: خَرَجْنَا لَا نَرَى إِلَّا الْحَجَّ، فَلَمَّا كُنَّا بِسِرْفِ حِضَّتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا أَبْكِي، قَالَ: مَا لَكَ أَنْفِستِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَأَقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ» قَالَتْ: وَصَحَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نِسَائِهِ بِالْبَقْرِ (١).

خروج دم الحيض فيه مصلحة للمرأة، ومنع خروجه يسبب أضرارًا متعددة. قال الشيخ رحمه الله: (الحيض كتبه الله على بنات آدم كتابةً قدريةً؛ ولهذا لما دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي تبكي،

(١) رواه البخاري.

وهي أتت من المدينة مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام حجة الوداع، حاضت أثناء الطريق في موضع يقال له: (سرف)، فدخل عليها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تبكي وسألها: فقال: «ما لك أنفست؟»، فقالت: نعم، قال: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم»، يعني ما هو خاص بكِ كلُّ بنات آدم تحيضُ فلترضي بحُكم الله وقضائه، فنقول: هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، وهو من مصلحة المرأة؛ لأن هذه الإفرازات الدموية لو بقيت لأضرت بالمرأة، فإذا خرجت في وقتها، صار ذلك صحةً لها، وأيضاً هذه الحبوب ثبت عندي من أطباء مُختصين صادقين أن فيها أضراراً مُتعددة، حتى إن بعضهم كتَبَ لي صفحة فيها سبعة عشر ضرراً أو أكثر^(١).

٢- المنافع الصحية للزواج:

إن المتأمل للأحكام الشرعية وما فيها من نهي وأمر وحلال وحرام ليرى فيها الخير العظيم والحكمة البالغة من الله تعالى العزيز الحكيم، وحفظه لنا في أخلاقنا وعقيدتنا وصحتنا، وفي ديننا ودياننا فالحمد لله على نعمة الإسلام وعلى نعمة السنة.

والله تعالى ما حرم شيئاً إلا وفي مصلحة راجحة وضرراً على العبد في صحته وماله وقد يتعدى ذلك إلى الأسرة والمجتمع، ولا أحل شيئاً إلا وفيه الخير العظيم والمصالح النافعة للعباد في دينهم وديانهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

(١) «نصائح وتوجيهات للمرأة من العلامة ابن عثيمين»، د. فهد الشويرخ.

التَّائِسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [يوسف: ٢١].

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (لا يدرون حكمته في خلقه، وتلطفه)^(١).

و(الزواج) والذي يعتبر من الأمور العظيمة التي جعلها الله بين الذكر والأنثى ففي هذه العلاقة مصالح عظيمة في الدين والدنيا.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ [الروم: ٢١].

وفي تفسير هذه الآية: ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبتها لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾^(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِهِ: (والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فإن: «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»؛ خصوصاً هذا الأمر الذي

(١) «تفسير القرآن العظيم».

(٢) ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، «تفسير القرآن العظيم».

في كثير من النفوس أقوى داع إليه، ووصف الله الزنى وقبحه بأنه ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾، أي: إثماً يستفحش في الشرع والعقل والفطر؛ لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها، وإفساد الفراش واختلاط الأنساب، وغير ذلك من المفاسد، وقوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، أي: بسئ السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم). انتهى كلامه رَحْمَةُ اللَّهِ. فالإسلام يدعو لحياة الاستقامة والعفة والطهارة.

دراسات علمية:

وها هو العلم الطبي يثبت خطورة وفحش الزنا وعواقبه الخطيرة في الدنيا، وقد بينه الإسلام أيما بيان، فهل يعي المسلم خطورة الفواحش وكبائر الذنوب، وهذه حقائق علمية طبية، فهل من متأمل ومتدبر:

فسر العلماء فترة «العدة» للنساء للتأكد من خلو الرحم من الجنين وأنها كذلك مهلة للصلح بين الزوجين، وهذا صحيح، ولكن هناك سبباً آخر اكتشفه العلم الحديث، وهو: إن السائل الذكري يختلف من شخص إلى آخر كما تختلف بصمة الأصبع، وإن لكل رجل شفرة خاصة به. (لذا فإن جميع ممارسات مهنة الدعارة يصبون بأمراض عدة منها سرطان الرحم والعياذ بالله)، حيث أن المرأة تحمل داخل جسدها أشبه بما يكون (حاسب آلي)، سبحان الله العظيم، والذي يقوم باختزان شفرة الرجل الذي يجامعها. وإذا دخل على هذا (الحاسب الآلي) أكثر من شفرة كأنما دخل فيروس إليه،

ومن ثم يصاب بالخلل والاضطراب، والتي تؤدي إلى الأمراض العديدة، ومن خلال الدراسات المكثفة للوصول لحل أو علاج لهذه المعضلة، ذكر الإعجاز ذلك منذ آلاف السنين وذلك بتحريم الله الزنا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

حقيقة علمية:

والمرأة تحتاج نفس مدة العدة التي شرعها الإسلام حتى تستطيع استقبال شفرة جديدة لكي لا تصاب بأذى، كما فسر هذا الاكتشاف لماذا أقر الإسلام زواج المرأة برجلاً واحداً، ولا يحق لها تعدد الأزواج. وهنا سئل العلماء سؤالاً: لماذا تختلف مدة العدة بين المطلقة والأرملة؟ أجريت الدراسات على المطلقات والأرامل فأثبتت التحليل أن الأرملة تحتاج وقتاً أطول من المطلقة لنسيان هذه الشفرة؛ وذلك يرجع إلى حالتها النفسية، حيث تكون حزينة أكثر على فقدان زوجها إذ لم تصب منه بضرر الطلاق بل بوفاته.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

مراعاة الإسلام للصحة النفسية للطفل:

اليتيم والمسكين:

واليتيم: وهو الذي فقد والده ولم يبلغ الحلم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو منزلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلمًا ومرشدًا، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه، ويرشده، ويعلمه، ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر»^(١)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة»^(٢).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل يشكو قسوة قلبه؟ قال: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك»^(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أن رجلاً شكاً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسوة قلبه فقال له: «إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»^(٤).

وعن مالك بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «من

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه أحمد.

ضم يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له
- الجنة - ألبتة، ومن أعتق امرأة مسلمة كان فكاكه من النار يجزي بكل عضو
منه عضواً من النار»^(١).

تسلية الطفل وملاطفته وادخال السرور عليه:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخل علينا
ولي أخ صغير يُكنى أبا عمير، وكان له نغر يلعب به، فمات فدخل عليه النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم فرآه حزينا، فقال: «ما شأنه؟» قالوا: مات نغره، فقال:
«يا أبا عمير ما فعل النغير»^(٢).

والنغير: طائر يشبه العصفور^(٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: (فِيهِ جَوَازُ الْمُمَازَحَةِ، وَتَكَرُّرُ الْمَزْحِ، وَأَنَّهَا إِبَاحَةٌ
سُنَّةٌ لَا رُخْصَةٌ). اهـ. كلامه.



(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري ومسلم، واللفظ لأبي داود.

(٣) (فتح الباري ١/١٩٧).

عناية الإسلام بالمعاقين

تعريف الإعاقة لغة:

المعنى اللغوي لكلمة معاق كما أشار إليه الرازي في «مختار الصحاح» بأن أصلها: عوق، عن كذا، أي: حبسه عنه وحرمه، وكلمة معاق أصلها رباعي، أعاق وإعاقة، وهي اسم مفعول مشتق من المصدر المفعول فيما زاد عن الثلاثي يصاغ على وزن فاعله، ولأن وزنها يفتح ما قبل الأخير وتغير الألف بالميم، فتصبح معاق، أعاق، معاق^(١).

ما هي الإعاقة؟

تعرف منظمة الصحة العالمية الإعاقة على أنها: (قصور أو خلل في القدرات الجسميّة أو الذهنيّة، ترجع إلى عوامل وراثيّة أو بيئية تُعيق الفرد عن تعلّم الأنشطة التي يقوم بها الفرد السليم المشابه في السنّ)، هذه الإعاقة قد تكون بسبب (خلل جسدي أو عصبي أو عقلي للتركيب البنائي للجسم)، وأضاف المنظمة أنّ هذا الخلل أو العجز يؤدي بالشخص إلى عدم تمكنه من أداء واجباته الأساسية معتمداً على ذاته، أو ممارسة عمله والاستمرار فيه بالمعدل الطبيعي، وحسب التقرير الذي اشترك فيه كل من منظمة الصحة العالمية والبنك الدولي، فإن هناك أكثر من مليار نسمة في العالم يعانون من شكل ما من أشكال الإعاقة.

(١) الرازي، ١٩٨٩م، (٣٨٠).

الإعاقة في الإسلام:

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال أيضاً: ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مِثْلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٢٤].

ذكر الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة: (هذا مثل ضرب به الله للكافر والمؤمن؛ فأما الكافر، فُصِمَ عن الحق فلا يسمعه، وعمي عنه فلا يبصره، وأما المؤمن، فسمع الحق فانتفع به، وأبصره فوعاه، وحفظه وعمل به).

وقال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩].

هذه الآيات الكريمة تصف من لم يستعمل حواسه وجوارحه من سَمِعَ وبصرٍ وقلوبٍ تعقل للوصول إلى الله تعالى والإيمان به، ووصفهم بأنهم كالأنعام، بل هم أضل؛ لأن الأنعام تؤمن بالله عز وجل.

تأملوا معي هاتين الآيتين الكريمتين من أواخر سورة الكهف: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ [الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً] [الآيات: ١٠٠-١٠١]. فالمعاق الحقيقي هو الذي لم يستخدم هذه

الحواس التي وهبها الله تعالى له في معرفة الحق والتوحيد والعبودية تعالى لله وحده ونبذ الشرك.

مراعاة الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة:

- الاستبشار بهم وعدم التذمر منهم، والسعي في تعليمهم:

كلنا نعرف قصة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الرجل الأعمى في سورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾، ولو تفكرنا قليلاً في هذه الآية الكريمة، لوجدنا أن الأعمى في هذه القصة -عبدالله بن أم مكتوم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لم يكن له أن يرى عبوس الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ومع ذلك لَمْ اللهُ تعالى نبيّه على ذلك التصرف... ووردَ أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام كان بعد نزول تلك الآيات يستبشر عندما يرى ابن أم مكتوم، ويقول: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي!».

فهل لنا -نحن البشر- أن نتفكر في كيفية تعاملنا مع فئة المعاقين من البشر الذين قد يسمعون أو يرون أو يفقهون ما يقال لهم، فيتألمون ويُجرَحون؟ أيضاً الآية الكريمة تذكّرنا لنا ألا نتوانى في تعليم ذوي الحاجات الخاصة، وعدم التقليل من قدراتهم، وتوفير الفرص لهم للنجاح والتفوق.

- الدعاء لهم وتثبيتهم وتصبيرهم:

ولنا في قصة المرأة التي كانت تُصرع عبرة، كما جاء في الحديث عن عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟)، قُلْتُ: (بَلَى)، قَالَ: (هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَقَالَتْ: إِنِّي أُضْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبْرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ»، فَقَالَتْ: (أَصْبِرِي)، فَقَالَتْ: (إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ)، فَدَعَا لَهَا.

وورد عنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه أمرنا بأن نعين المريض على مرضه، بأن نرفع من روحه المعنوية والنفسية؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ، فَتَنَفَّسُوا لَهُ فِي أَجَلِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَيُطَيِّبُ نَفْسَهُ»، فَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ يَتَكَلَّمُ عَنْ أَصْحَابِ الْأَمْرَاضِ الْمُتَأَزِّمَةِ، أَوْ مَنْ لَا يُؤَمِّلُ فِي بَرئِهِ وَشِفَائِهِ، فَمَا بِالكَ بِأَصْحَابِ الْإِعَاقَةِ وَذَوِيهِمْ وَحَاجَتِهِمْ الْمَاسَةَ إِلَى الدِّعْمِ النَّفْسِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ الْمُسْتَمِرِّ حَتَّى يَبْقُوا قَوِيَّيْنِ وَقَادِرِيْنَ عَلَى تَحْمُلِ كُلِّ جَوَانِبِ الْإِعَاقَةِ الصَّعْبَةِ؟

● عدم السخرية منهم:

أمر الله تعالى بعدم السخرية من أي أحد؛ عسى أن يكونوا خيرًا منهم؛ قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَمْرُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا - وأشار إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه»، ولو تفكّرنا

بعض الشيء في مساوىء الاستهزاء والسخرية، لوجدناها كثيرة، لا تقتصر فحسب على تشتيت الروابط الاجتماعية والأخوية، وتقليل الشأن بالشخص المُستهزأ به؛ مما يولّد الأحقاد والأضغان، وربما الرغبة في الانتقام، بل ربما وصل الحد إلى قطع الصّلات وقطع الأرحام.

• مؤاكلتهم ومجالستهم والرعاية النفسية لهم:

قال تعالى حول جواز مؤاكلة ذوي الحاجات الخاصة: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ هِيَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ [النور: ٦١]، لقد حيرتني هذه الآية الكريمة! فلماذا خصّص الله تعالى الأعمى والأعرج والمريض؟ ولكن زال عجبى بعد أن قرأت ما قاله ابن قتبية في «تأويل مشكل القرآن»: (كان المسلمون في صدر الإسلام حين أمروا بالنصيحة، ونهوا عن الخيانة، وأنزل عليهم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، أدقوا النظر، وأفرطوا في التوقّي، وترك بعضهم مؤاكلة بعض، فكان الأعمى لا يؤاكل الناس؛ لأنه لا يبصر الطعام، فيخاف أن يُستأثر، ولا يؤاكله الناس؛ يخافون لضرره أن يقصّر،

وكان الأعرج يتوقَّى ذلك؛ لأنه يحتاج لزمانته إلى أن يتفَسَّح في مجلسه، ويأخذ أكثر من موضعه، ويخاف الناس أن يسبقوه لضعفه، وكان المريض يخاف أن يُفسد على الناس طعامهم بأمور قد تعتري مع المرض، من رائحة تتغير، أو جرح يَبْضُ، أو أنف يَدْنُ، أو بول يَسْلَسُ، وأشباه ذلك؛ فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ليس على هؤلاء جناح في مؤاكلة الناس).

إذا نظرنا بعمق إلى هذه الآية الكريمة، وجدنا فيها الإنقاذ لهذه الفئة الكريمة من البشر من أهم مشاكل الإعاقة، ألا وهي الانعزال الاجتماعي والوحدة.

• التخفيف في الأحكام:

قال الرؤوف الرحيم: ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ أُولَىٰ بِأَسْسِيذٍ تَقْتُلُوهُمْ أَوْ يُسَامُونَ ۗ إِن تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٧﴾ [الفتح: ١٦-١٧]، ولا بد من التذكير هنا أن هذا التخفيف يختلف من حالة إلى غيرها؛ ففيه التوازن والاعتدال ليناسب كل شخص حسب إعاقته ودرجة قدرته واستيعابه، ومن هنا ما ذكره القرطبي في تفسيره: (أن الله رَفَعَ الحرج عن الأعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر، وعن الأعرج فيما يشترط فيه التكليف من المشي، وما يتعذر من الأفعال مع وجود العرج، وعن المريض فيما يؤثر في إسقاطه، كالصوم وشروط الصلاة وأركانها والجهاد).

ولقد ورد عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَلَى عَلَيْهِ: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله»، قال: فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُمَلُّها عليّ لتدوينها، فقال: (يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدتُ) - وكان رجلاً أعمى - قال زيد بن ثابت: (فأنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفخذه على فخذي، فتقلت حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي (مِنْ ثِقَلِ الْوَحْيِ)، ثم سُرِّيَ عَنْهُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَبْرًا لِأُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥].

فلله تعالى الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. ولنا أن نتذكر أن المعاق إن كان ذا إعاقة شديدة؛ كالجنون والعتة، فإن القلم مرفوع عنه؛ روت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»^(١).

● عدم نعتهم بألفاظ وأوصاف جارحة:

أود أن أذكر التفتاة ذكرها الدكتور أحمد نوفل، وهي أن كلمة مجنون قد وردت (١١) مرة في القرآن الكريم، وأن العجيب في ذلك أنها جميعاً وردت في وصف أقوام الأنبياء لرسولهم بالجنون، وأن القرآن الكريم ينفي صحة هذا النعت؛ تأملوا الآيات:

(١) رواه أبو داود.

- ١ - ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجر: ٦].
- ٢ - ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٧].
- ٣ - ﴿ وَيَقُولُونَ أَيُّنَا لَتَارِكُوآءِ الْهَيْتِنَا لَشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٦].
- ٤ - ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [الدخان: ١٤].
- ٥ - ﴿ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَهٖهِ وَقَالَ سَجَرًا مَّجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٩].
- ٦ - ﴿ كَذٰلِكَ مَا آتٰى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا قَالُوْا سٰحِرٌ اَوْ مَجْنُوْنٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٢].
- ٧ - ﴿ فَذَكَرْ فَمَا اَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُوْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الطور: ٢٩].
- ٨ - ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوْا عَبْدَنَا وَقَالُوْا مَجْنُوْنٌ وَّارْتَدَّ جَر ٩ ﴿٩﴾ ﴾ [القمر: ٩].
- ٩ - ﴿ مَا اَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُوْنٍ ﴿٢﴾ ﴾ [القلم: ٢].
- ١٠ - ﴿ وَيَقُولُوْنَ اِنَّهٗ لَمَجْنُوْنٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [القلم: ٥١].
- ١١ - ﴿ وَمَا صٰحِبُكُمْ بِمَجْنُوْنٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التكوير: ٢٢].

• عدم التقليل من شأنهم ودورهم في المجتمع:

قال تعالى في سورة طه على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نَسِيْحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَكْ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدَأُوْتَيْتَ سُوْلًا كَ يَمْوَسِي ﴿٣٦﴾ ﴾ [الآيات: ٢٥-٣٦]، لطالما أحببنا هذا الدعاء وقرأناه مستبشرين به وبحلاوته، فهلا تفكرنا أنه - حسب ما ورد - كان لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عنده عشرة في الحديث؛

ولهذا طلب من الله تعالى أن يعينه ويشد من أزره بأخيه هارون، وهي التفاتة لأهل الإعاقة ومن حولهم أنه لا بأس من طلب المساعدة ومن توفيرها لمساعدة شخص على تأدية عمله.

لقد ورد أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخلف عبدالله ابن أم مكتوم مرتين على المدينة، وكان يؤذّن مع بلال بن رباح لجمال صوته، وهو رجل أعمى، ولم يبال ابن أم مكتوم بفقد بصره، فشارك في معركة القادسية تحت قيادة سعد بن أبي وقاص، ووقف مستنداً على ذراع أحد المسلمين يعتلي ربة عالية وهو يصيح: (ادفعوا إليّ اللواء؛ فإني أعمى لا أستطيع أن أفرّ، وأقيموني بين الصقيين)، ويحاول المسلمون ثنيه عن عزمه وهو يصيح ويطلب باللواء، حتى نال نعمة الشهادة في هذه المعركة.

ولنا مثال آخر في الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة، حيث أصيب في معركة أُحُد عدة إصابات في مختلف أنحاء جسده، سببت إحداها عرجاً دائماً في ساقه، والأخرى أسقطت ثناياه وتركت تأثيراً واضحاً في نطقه، فإذا به يستمر بالتصدق ولم يعزل نفسه عن المجتمع.

ولنا في كثير من العلماء والصالحين قدوة، فكثير منا لا يعلم أن الفقيه عطاء بن أبي رباح كان أسوداً، أعرج، أشلّ، ولكن كان يُرَجَّع إليه في الفتوى في مواسم الحج، وكثير منا لا يعلم أن العالم الجليل ابن الأثير صاحب

كتاب «الأصول» (١١ مجلداً)، وكتاب «النهاية في غريب الحديث» (٤ مجلدات)، كان مُقَعَّدًا لا يستطيع القيام، وكثير منا لا يعلم أن محمد بن سيرين أحد أتباع التابعين كان أصمَّ، ورغم صعوبة ذلك، فإن سيرته حافلة بالعلم والتقوى، والحرص على الحلال في التجارة، ومن علماء عصرنا العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ والعلامة الشيخ ابن باز، والشيخ عبد الله بن حميد رحمهم الله تعالى ورفع درجاتهم في عليين.

• حفظ حقوقهم المالية والمعنوية:

كلنا يعلم أن التكليف مرهون بالعقل؛ أي: إنَّ المصاب بالجنون أو التخلف العقلي مرفوعٌ عنه القلم وأنه غير مسؤول عن واجبات العبادة والمعاملات، كما ورد عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن عدم مسؤوليته شرعياً لا تعني أنه لا يستحق أن يُحافظ على حقوقه المالية والإنسانية؛ فقد أجمع العلماء أن حقوق المصاب بالجنون لا تسقط بسبب عجزه عن إدارة أمواله والمحافظة عليها؛ وإنما تُعطى له من خلال وليِّه والقائم على رعايته.

لكن ماذا عن أصحاب الإعاقة العقلية التي هي دون درجة الإصابة بالجنون؟ هنا يجب فهم الفرق ما بين معنى كلمة (المجنون) و(السفيه)، ف(الجنون) هو الفقد الكلي للتمييز ما بين الصواب والخطأ، أما (السفيه) فهو مَنْ يبذر المال على غير مقتضى العقل والشرع ولو كان في جوانب الخير، فهو ناقص للعقل، خفيف الحِلم، لا يُحسِن التصرُّف.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَابْتُلُوا آلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝﴾ [النساء: ٥-٦]، هذه الآية الكريمة يجب أن تكون أساسًا، بل قانونًا في فنِّ التعامل المالي مع ذوي الحاجات الخاصة، فكثير من هذه الفئة الكريمة ينطبق عليهم الوصف القانوني والشرعي لمعنى (السفيه) من نقص أو قصور في القدرات العقلية، وعدم القدرة على اتخاذ القرارات السليمة^(١). يقول الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله تعالى: (الابتلاء سنة ربانية، ماضية على ما اقتضى حكمة الرب وعدله: ﴿وَبَلَّوْهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٦٨]، ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ومن هؤلاء الذين ابتلوا بالمصائب: المعاقون ذوو الاحتياجات الخاصة، والإعاقة حقيقتها إصابة الإنسان من آفات أو نقص في بدنه، وفقد بعض حواسه، وعقله وسلوكه، وهذا المبتلى إذا صبر ورضي، واطمأن قلبه كان ذلك خيرًا له، فإن البلاء من أوسع أبواب تكفير الخطايا والسيئات، يقول صلى الله عليه وسلم: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَدَى مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلَّا تَحَاطُّ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا».

(١) «حقوق ذوي الإعاقة في الإسلام»، عمر فاروق محمد.

وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَطِيئَةٌ».

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا غَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَدَى حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ حَطَايَاهُ».

أيها المسلم: وإن الإسلام اهتم بشؤون المعاقين كاهتمامه بسائر الناس؛ لأن الحق العام مشترك فيما بين الجميع، ولهذا نوه الله بذكره: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

أتى عبد الله بن متكوم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله وعند النبي أحد رجال الكفر والضلال وقد مال إليه النبي وجاء ليسلم؛ لأن في إسلامه يسلم كثيرا من أتباعه، وكأنه أعرض عن ابن مكتوم لا إعراضا عنه، ولكن طمعا في إسلام ذلك الإنسان، فعاتب الله نبيه بقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ بَزَكِّيٌّ ۚ أَوْ بَدَّرْتَهُ فَتَنَفَعَهُ الْذِكْرَى ۚ أَمَّا مَنْ أَسْتَعَى ۖ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا بَرْكِي ۖ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۖ وَهُوَ يَخْشَى ۖ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ﴾ [عبس: ١-١٠].

فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا لقيه يقول: «مرحبا بمن عاتبني به ربي».

أيها المسلم! ومظاهر عناية الإسلام بالمعاقين تتجلى بعدة أمور:

فأولاً: أن هؤلاء المعاقون إنسان مثلنا في الإنسانية والبشرية يدخلون في عموم قوله: ﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاَّهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَوَضَعْنَا لَهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

فهو إنسان مثلك، فإعاقته لا تحط من قدر إنسانيته، ولا يجب التكبر والتعالي عليه.

أمر ثاني: أن الله جَلَّ وَعَلَا جعل الكريم عنده من أتقاه وأطاعه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُ﴾ [الحجرات: ١٣].

فأكرمنا أتقانا الله، ليس صحة أبداننا ومظهرنا، وإنما صلاح قلوبنا وأعمالنا، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُورِكُمْ وَأَبْدَانِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

إن الرحمة في الإسلام التي تطلب العون والإحسان، وجاءت بها شريعة الإسلام لتضرب المثل الأعلى في المحافظة على حقوق الإنسان المعاق أكثر من غيرها؛ لأن الأمة الإسلامية أمة تراحم وتعاون وتعاطف، لا يمكن أن يضيع بينهم معاق يقصره شيء من الأمور والناس في غنى وفضل وراحة. ومن مظاهر رعاية الإسلام للمعاقين: أنه أمر بمخالطتهم، ونهى عن التفرز عنهم، فإن في مخالطتهم أناساً لهم، وإظهاراً بشعور المحبة والمودة وإنهم إخوانه في الدين والإنسانية يستند إليهم، ويتقوى بهم، وهذا شأن المسلمين في أحوالهم كلها.

ومن ذلك: أن الله أسقط عن المعاق بعض التكاليف الشرعية، فالصلاة الخمس يصلها الإنسان قائما، فإن عجز عن القيام صلاها قاعدا، فإن عجز عن القعود صلاها على جنب، فإن عجز صلاها مستلقيا على قدر طاقته، وكذلك صوم رمضان إذا كانت الإعاقة تمنعه من الصوم أطعم عن كل يوم مسكينا: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].
والحج إلى بيت الله الحرام إن قدر بدنيا، فالحمد لله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وإن عجز عن بدنه وأمكنه النيابة بماله فعل وإلا سقط عنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]^(١).



(١) خطبة جمعة بعنوان: «حقوق المعاق في الإسلام»؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الموقع الرسمي لسماحة المفتي حفظه الله تعالى.

عناية الإسلام بصحة المجتمع

الإسلام دعا إلى حفظ الصحة وسلامة الأبدان في المجتمعات، فإن في ذلك أعظم إعانة على العبادة وأداء ما أوجبه الله تعالى على عباده. وتجنب الأسباب المؤدية للمرض والوقاية منه يتحقق فيها صحة العقل والبدن، وفيها الإعانة على الكسب والعمل والتناسل، وبذلك يتم بها الحفاظ على الضروريات الخمس، الدين والنسل والمال والبدن والعقل. لذلك غلب الإسلام مصلحة الأمة على مصلحة الفرد، وجعل المسلم الصابر على الوباء له أجر شهيد، روى البخاري وأبو داود عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد».

ومن عناية الإسلام بصحة المجتمع تحريمه لفاحشة الزنى، ففيها امتثال أمر الله تعالى باجتناّب ما حرم الله من فعل هذا الجرم الخطير، وسوء آثاره ونتائجه على الفرد والمجتمع.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: (والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه فإن: «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»؛ خصوصاً هذا الأمر الذي

في كثير من النفوس أقوى داع إليه. ووصف الله الزنى وقبحه بأنه ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾، أي: إثماً يستفحش في الشرع والعقل والفطر لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد. وقوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، أي: بس السبيل سبيل من تجرأ على هذا الذنب العظيم). انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

ها هو العلم الطبي يثبت خطورة وفحش الزنا وعواقبه الخطيرة في الدنيا وقد بينه الإسلام أيما بيان فهل يعي المسلم خطورة الفواحش وكبائر الذنوب.

حقائق علمية طبية فهل من متأمل ومتدبر:

فسر العلماء فترة (العدة) للنساء للتأكد من خلو الرحم من جنين وأنها كذلك، مهلة للصلح بين الزوجين وهذا صحيح ولكن هناك سببا آخر اكتشفه العلم الحديث وهو: أن السائل الذكري يختلف من شخص إلى آخر كما تختلف بصمة الإصبع وأن لكل رجل شفرة خاصة به.

لذا فإن جميع من يمارسن الزنى يصبن بأمراض عدة منها سرطان الرحم والعياذ بالله. حيث أن المرأة تحمل داخل جسدها أشبه بما يكون (حاسب آلي)، سبحان الله العظيم، والذي يقوم باختزان شفرة الرجل الذي يجامعها. وإذا دخل على هذا (الحاسب الآلي) أكثر من شفرة كأنما دخل فيروس إليه ومن ثم يصاب بالخلل والاضطراب والتي تؤدي إلى الأمراض العديدة ومن خلال الدراسات المكثفة للوصول لحل أو علاج لهذه المعضلة، ذكر الإعجاز ذلك منذ آلاف السنين وذلك بتحريم الله الزنا.

وإن المرأة تحتاج نفس مدة العدة التي شرعها الإسلام حتى تستطيع استقبال شفرة جديدة لكي لا تصاب بأذى، كما فسر هذا الاكتشاف لماذا أقر الإسلام زواج المرأة برجلا واحدا ولا يحق لها تعدد الأزواج.

وهنا سئل العلماء سؤالا لماذا تختلف مدة العدة بين المطلقة والأرملة؟ أجريت الدراسات على المطلقات والأرامل فأثبتت التحاليل أن الأرملة تحتاج وقتا أطول من المطلقة لسيان هذه الشفرة وذلك يرجع إلى حالتها النفسية، حيث تكون حزينه أكثر على فقدان زوجها إذ لم تصب منه بضرر الطلاق بل بوفاته؛ ولذلك هي لا تستطيع نسيان ذلك الزوج الذي عاش معها حياة السعادة حياة الفرح حياة الحب لأن من طبع المرأة الغريزي الوفاء والإخلاص.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١].

ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

ويقول تعالى: ﴿وَالَّتِي يَلِيسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

حكمة تحريم تعدد الأزواج للمرأة:

قال الدكتور جمال الدين إبراهيم أستاذ علم التسمم بجامعة كاليفورنيا

ومدير معامل أبحاث الحياة بالولايات المتحدة الأمريكية: إن دراسة بحثية للجهاز المناعي للمرأة كشفت عن وجود خلايا مناعية متخصصة لها (ذاكرة وراثية) تتعرف على الأجسام التي تدخل جسم المرأة، وتحافظ على صفاتها الوراثية.. لافتاً إلى أن تلك الخلايا تعيش لمدة ١٢٠ يوماً في الجهاز التناسلي للمرأة.

وأضاف الدكتور جمال الدين أن الدراسة أكدت كذلك أنه إذا تغيرت أي أجسام دخيلة للمرأة مثل (السائل المنوي) قبل هذه المدة يحدث خلل في جهازها المناعي ويتسبب في تعرضها للأورام السرطانية.

وأوضح الدكتور جمال أن هذا يفسر علمياً زيادة نسبة الإصابة بأورام الرحم والثدي للسيدات متعددة العلاقات الجنسية، وبالتالي حكمة الشريعة في تحريم تعدد الأزواج للمرأة.

وكشف الدكتور جمال أن الدراسة أثبتت أيضاً أن تلك الخلايا المتخصصة تحتفظ بالمادة الوراثية للجسم الدخيل الأول لمدة (١٢٠ يوماً)، وبالتالي إذا حدثت علاقة زواج قبل هذه الفترة ونتج عنها حدوث حمل، فإن الجنين يحمل جزءاً من الصفات الوراثية للجسم الدخيل الأول والجسم الدخيل الثاني.

ومن جانب آخر، فقد اتفقت جميع الديانات السماوية على أنه لا يجوز للمرأة أن يطأها غير زوجها، فالإيمان بالله يقتضي التسليم لأحكامه وشرعه،

فهو سبحانه الحكيم العليم بما يصلح البشر، فقد ندرك الحكمة من الحكم الشرعي وقد لا ندركها.

حكمة جواز تعدد الزوجات للرجل:

وبالنسبة لمشروعية التعدد للرجل ومنعه في حق المرأة، هناك أمور لا تخفى على كل ذي عقل، فالله سبحانه جعل المرأة هي الوعاء، والرجل ليس كذلك، فلو حملت المرأة بجنين (وقد وطئها عدة رجال في وقت واحد) لما عرف أبوه، واختلطت أنساب الناس، ولتهدمت البيوت، وتشرد الأطفال، ولأصبحت المرأة مثقلة بالذرية الذين لا تستطيع القيام بتربيتهم والنفقة عليهم؛ ولربما اضطرت النساء إلى تعقيم أنفسهن، وهذا يؤدي إلى انقراض الجنس البشري.

ثم إن الثابت الآن - طبيياً - أن الأمراض الخطيرة التي انتشرت كالإيدز والسرطان وغيرها من أهم أسبابها كون المرأة يطأها أكثر من رجل، فاختلاط السوائل المنوية في رحم المرأة يسبب هذه الأمراض الفتاكة، ولذلك شرع الله العدة للمرأة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها؛ حتى تمكث مدة لتطهير رحمها ومسالكها من آثار الزوج السابق، وللطمث الذي يعتريها دور أيضا في هذه العملية.

وكما ذكرنا من قبل تأكيد العلماء أن جميع ممارسات مهنة الدعارة يصبون بمرض سرطان الرحم؛ وفسروا العدة للنساء للتأكد من خلو الرحم من جنين، كما أنها مهلة للصلح بين الزوجين، وهذا صحيح، ولكن هناك سبباً

آخر اكتشافه العلم الحديث وهو: أن السائل الذكري يختلف من شخص إلى آخر، كما تختلف بصمة الأصبع، وأن لكل رجل شفرة خاصة به.

كما أكد العلماء أن المرأة تحمل داخل جسدها ما يشبه الكمبيوتر الذي يخزن شفرة الرجل الذي يعاشرها، وإذا دخل على هذا الكمبيوتر أكثر من شفرة كأنما دخل فيروس إلى الكمبيوتر، ويصاب بالخلل والاضطراب والأمراض الخبيثة.

ومع الدراسات المكثفة للوصول لحل أو علاج لهذه المشكلة، اكتشف الإعجاز، واكتشفوا أن الإسلام يعلم ما يجهلونه، وأن المرأة تحتاج نفس مدة العدة التي شرعها الإسلام؛ حتى تستطيع استقبال شفرة جديدة بدون إصابتها بأذى.

كما فسر هذا الاكتشاف لماذا تتزوج المرأة رجلاً واحداً، ولا يجوز لها تعدد الأزواج.

لماذا تختلف مدة العدة بين المطلقة والأرملة؟

أجريت الدراسات على المطلقات والأرامل فأثبتت التحاليل أن الأرملة تحتاج وقتاً أطول من المطلقة لسيان هذه الشفرة؛ وذلك يرجع إلى حالتها النفسية، حيث تكون حزينة أكثر على فقدان زوجها؛ إذ لم يطلقها زوجها بل توفاه الله^(١).

(١) صحيفة الأهرام المصرية ٢-٩-٢٠١٨م.

من صور عناية الإسلام بصحة المجتمع:

١ - النهي عن الشرب من فم السقاء:

نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشرب من فم القربة وما يقوم مقامها، وذلك لما فيها من الوقاية والحفاظ على صحة الإنسان وكل ما يسبب له الضرر وانتشار الأمراض بين أفراد المجتمع.

روى البخاري في «صحيحه» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نهى عن الشرب من فيّ السقاء».

«فيّ السقاء»: هو فم الإناء الذي يوضع فيه الماء، ويكون له فم يُشرب منه. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وفي هذا آداب عديدة: (منها: أن تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يعاف لأجلها. ومنها: أنه ربما غلب الداخل إلى جوفه من الماء، فتضرر به. ومنها: أنه ربما كان فيه حيوان لا يشعر به، فيؤذيه. ومنها: أن الماء ربما كان فيه قذاة أو غيرها لا يراها عند الشرب، فتلج جوفه. ومنها: أن الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء، فيضيق عن أخذ حظه من الماء، أو يزاحمه، أو يؤذيه، ولغير ذلك من الحكم)^(١).

٢ - النهي عن النفخ في الطعام:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/٢١٤).

الشَّرَابِ فَقَالَ رَجُلٌ: الْقَذَاةُ أَرَاهَا فِي الْإِنَاءِ؟ فَقَالَ: «أَهْرِقُهَا»، قَالَ: فَإِنِّي لَا أُرَوِّى مِنْ نَفْسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: «فَأَبِنِ الْقَدَحَ إِذَا عَنَ فِيكَ»^(١).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ»^(٢).

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (أنه لا ينبغي للمؤمن النفخ في الإناء والتنفس فيه إذا أراد أن يتنفس أو ينفخ يفصل الإناء، وإذا كان هناك قذاة يأخذها بيده أو يريقها ولا ينفخ ولا يتنفس في الإناء، هكذا نهى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهو مبعوث بما فيه صلاح الأمة ونجاتها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإذا كان هناك قذاة في الشراب دود أو غيره فإنه يأخذه بيده أو يريقه ولا ينفخ)^(٣).

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» عند شرحه لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ يَنْفَخُ فِيهِ» قَالَ: (أَيُّ فِي الْإِنَاءِ الَّذِي يَشْرَبُ مِنْهُ، وَالْإِنَاءُ يَشْمَلُ إِنَاءَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَلَا يَنْفَخُ فِي الْإِنَاءِ لِيَذْهَبَ مَا فِي الْمَاءِ مِنْ قَذَاةٍ وَنَحْوِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو النَّفْخَ غَالِبًا مِنْ بَزَاقٍ يَسْتَقْذِرُ مِنْهُ، وَكَذَا لَا يَنْفَخُ فِي الْإِنَاءِ لِتَبْرِيدِ الطَّعَامِ الْحَارِّ، بَلْ يَصْبِرُ إِلَى أَنْ يَبْرُدَ، وَلَا يَأْكُلُهُ حَارًّا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَذْهَبُ مِنْهُ، وَهُوَ شَرَابُ أَهْلِ النَّارِ). انتهى.

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) «شرح رياض الصالحين»، موقع الشيخ رحمه الله تعالى.

وقال العلامة المناوي رَحِمَهُ اللهُ فِي «فيض القدير»: (والنفخ في الطعام الحار يدل على العجلة الدالة على الشَّرِّه وعدم الصبر وقلة المروءة). انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ: (والنفخ أشد من التنفس).

وهذا النهي عن الأمرين للكرهية، فمن فعلهما أو أحدهما لا يأثم إلا أنه قد فاته أجر امتثال هذه التوجيهات النبوية، كما فاته أيضًا التأدب بهذا الأدب الرفيع الذي تحبه وترضاه النفوس الكاملة، قال العلامة ابن مفلح الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ فِي «الأداب الشرعية»: (يكره نفخ الطعام والشراب، وحكمة ذلك تقتضي التسوية، ولذلك سوى الشارع بين النفخ والتنفس فيه). انتهى.

وفي مجلة الجودة الصحية السعودية فتحت موضوع (النفخ فالطعام والشراب وأضراره) ما يلي: (هو حركة تلقائية عند الكثير.. وهي النفخ على الطعام الساخن لتبريده هي تتكرر يوميًا عند الكثير أعلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن هذا الفعل وهو الذي لا ينطق عن الهوى.

النفخ في الطعام والشراب أو إخراج النفس فيه عادة يومية يفعلها الإنسان دائما عندما يأكل أو يشرب شيئًا ساخنًا بغرض تبريده، ولكنها للأسف عادة خاطئة جدا وقد تؤدي للإصابة بداء السكري أو التهاب الأغشية المبطنة للمعدة (القرحة).

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ^(١).

(١) «صحيح الجامع»، للسيوطي، تخريج الألباني: حديث صحيح.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَسْ فِي الْإِنَاءِ»^(١).

سواء انفرد بالشرب من هذا الإناء، أو شاركه فيه غيره، وهذا من مكارم الأخلاق التي علمها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأُمَّته أن في جسد الإنسان تعيش بكتيريا يكون عددها أكثر من عدد خلاياه ولكنها بفضل الله ورحمته نافعة للجسم وغير ضاره بحيث أنها تقوم بعمليات تنشيط التفاعلات الحيوية وأيضاً التفاعلات اللازمة للهضم.

وتقوم تلك البكتيريا عندما تخرج من الفم بواسطة النفخ بالتحوصل على الطعام الساخن حيث أن البكتيريا كائنات حساسة للحرارة ثم يتناول الإنسان ذلك الطعام حيث تتواجد البكتيريا فيه بشكل كبير جدا وتكون في أتم الاستعداد للدخول إلى داخل الجسم، تخيل كم مرة يقوم الإنسان بالنفخ في ذلك الطعام وكم هي كمية البكتيريا المتواجدة فيه! ثم يقوم الإنسان بتناول ذلك الطعام مع تلك البكتيريا المتحوصلة.

تبدأ الرحلة من الفم ومن ثم المريء إلى أن تصل إلى المعدة، فتقوم تلك البكتيريا بالتنشيط وإفراز أنزيم اليوريا الذي يسبب التهاب الأغشية المبطنة للمعدة مسبباً بذلك خرقاً في الجدار؛ حيث تبدأ المعدة بهضم نفسها، وحدوث تآكل بجدار المعدة مما يؤدي إلى هضم المعدة لنفسها.

الوقاية من ذلك كله تتمثل في الحفاظ على نظافة الفم واستعمال السواك

(١) رواه البخاري.

أو الفرشاة والمعجون أو حتى المضمضة كما يحدث عند الوضوء^(١). انتهى.

٣- وضع الكم على الأنف والفم حال العطاس:

من الآداب الإسلامية حال العطاس وضع الكم -وهو طرف الثوب- على الأنف والفم، وفي هذا الأدب الجميل فوائد عظيمة وغايات جلييلة في الحفاظ على الصحة.

يقول الدكتور محمود الدوسري: (من آداب العطاس: وضع اليد أو المنديل على الفم، وخفض الصوت قدر الإمكان، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ» صحيح، رواه أبو داود، ولَمَّا كَانَ الْعَاطِسُ -غَالِبًا- يُحَدِّثُ صَوْتًا رَفِيعًا مُزْعَجًا اسْتُحِبَّ لَهُ أَنْ يَخْفِضَ مِنْ صَوْتِهِ، وَالْعَاطِسُ أَيْضًا لَا يَأْمَنُ -غَالِبًا- مِنْ خُرُوجِ شَيْءٍ مِنْ فَمِهِ، فَاسْتُحِبَّ لَهُ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، وَفِي هَذَا سُنَّةٌ.

ومن آداب العطاس: تحويل الوجه -قَبْلَ العطاس- عن وجوه الناس، أو عن الطعام؛ لئلاَّ يُصِيبَهُ رِذَاذُ العطاس، والبُعدُ عن إخراج صوتٍ عند تنظيف الأنف بمحضر الناس؛ لأنَّ هذا مما يستقذره الناس، وفي الحديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٢).

عد العطاس أحد أهم الأعراض المرافقة لنوبات البرد والزكام، كما أن

(١) موقع مجلة الجودة الصحية السعودية ٠٨ أكتوبر ٢٠١٩م.

(٢) رواه البخاري ومسلم، موقع الألوكة.

البعض يعانون من أمراض تحسسية تترافق مع نوبات عطاس متكررة وخاصة مع اقتراب فصل الربيع وبدء تلقيح الأزهار.

ويجهل الكثيرون سبب العطاس والتغيرات التي تحدث في الجسم بسببه، لذلك فقد أوردت صحيفة هافينغتون بوست مجموعة من الحقائق عن العطاس لا بد لكل إنسان من معرفتها بحسب (موقع ٢٤):

أ- سرعة العطاس ١٠٠ ميل في الساعة: تشير الدراسات أن سرعة العطاس يمكن أن تصل إلى أكثر من ١٠٠ ميل في الساعة، ومهما حاول صاحبها أن يخفف من حدتها تبقى سرعة العطسة تتراوح بين ٣٠-٣٥ ميل في الساعة.

ب- الجراثيم تصل إلى مسافات بعيدة: ينصح الأطباء دومًا بوضع منديل على الأنف عند العطاس، حيث يمكن أن تنتشر الجراثيم إلى مسافات بعيدة مسببة العدوى للآخرين.

ج- العطاس يتخلص من مشاكل الأنف: شبهت صحيفة (سينس دايلي) ما يحدث في الأنف بعد العطاس بإعادة تشغيل جهاز الكمبيوتر، حيث يعيد فتح الممرات الأنفية ويخلصها من الجراثيم والبكتيريا العالقة بداخلها.

فهذا الأدب الجميل وضع الكم على الأنف والفم فيه من المصالح العظيمة والاحترازاات الصحية مما يعود على الفرد والمجتمع بالسلامة والحفظ من الأمراض التي تنتشر عن طريق الرذاذ، ومن ذلك الأمراض التنفسية وما انتشر فيروس كورونا كوفيد ١٩ عنا ببعيد فلذلك علينا الالتزام

ألفاظ الحديث:

«فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَمَضَّمَصَّ»، أي: تمضمض بهذا الماء وقوله: «فدعا بماء» رواه مسلم دون البخاري، وأما رواية البخاري جاءت بلفظ: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ لَبَنًا فَمَضَّمَصَّ وَقَالَ: «إِنَّ لَهُ دَسْمًا»، فربما توهم متوهم أنه تمضمض باللبن، ولكن هذا وجه لا يراد بيته رواية مسلم.

«إِنَّ لَهُ دَسْمًا»: «دسماً» بفتح السين وسكونها فيها الوجهان والفتح أولى، والدسم هو: عبارة عن زفر الدهن، والمقصود أن المضمضة كانت بسبب وجود الدسم.

ومن فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: الحديث دليل على استحباب المضمضة بعد شرب اللبن، وجاء عند ابن ماجه أيضاً وصححه الألباني^(١) بصيغة الأمر قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَضَّمَصُوا مِنَ اللَّبَنِ فَإِنَّ لَهُ دَسْمًا»، والمضمضة بالماء بعد شرب اللبن سنة مندثرة ينبغي إحيائها.

الفائدة الثانية: في الحديث بيان العلة التي شُرع من أجلها المضمضة بعد شرب اللبن، وهي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ لَهُ دَسْمًا»، والمضمضة تقطع لزوجة اللبن ودسمه وتُنظف الفم، ومن أهل العلم من أخذ من هذه العلة استحباب المضمضة من كل شيء يأكله الإنسان أو يشربه وله دسماً لقاعدة: الحكم يدور مع علته.

(١) انظر: «صحيح ابن ماجه» (٤٠٣).

قال ابن حجر: (فيه بيان العلة للمضمضة من اللبن فيدل على استحبابها من كل شيء له دسم)^(١). وللبن منافع ذكرها ابن القيم وذكر منافع كل نوع من الألبان^(٢).

وفي سؤال هل تجب المضمضة على المتوضئ المحتفظ بوضوءه إذا أكل أو شرب شيئاً ما؟

أجاب الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ بِالْآتِي: ما تجب لكن تستحب، إذا كان فيه دسم أو فيه شيء له رائحة يتمضمض حتى تزول الرائحة الكريهة، أو يزول الدسم الذي قد يؤذيه ويشغله، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الأحيان لما شرب لبناً تمضمض، وقال: «إِنْ لَهُ دَسْمًا»؛ فالمضمضة مستحبة إذا دعت الحاجة إليها. نعم^(٣).

٥ - غسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيُرْفُهُ ثُمَّ لْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ»^(٤).
ولفظ البخاري: «إِذَا شَرِبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا»^(٥).

(١) انظر: «الفتح» (٤٠٩/١).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣٨٤/٤).

(٣) ابن باز رَحِمَهُ اللهُ نوره على الدرب، موقع الشيخ.

(٤) رواه مسلم (١٨٢/٣).

(٥) (٣٦٤/١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُطْهُرُ إِنَاءٌ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْ لَاهُنَّ بِالتُّرَابِ»^(١).
وفي رواية لمسلم^(٢): «إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي الْإِنَاءِ فَأَغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَعَقِّرُوهُ الثَّامِنَةَ بِالتُّرَابِ».

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: (الحديث صحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا أَوْ لَاهُنَّ بِالتُّرَابِ» رواه مسلم، وفي رواية أخرى: «اغسلوه سبعا، وعفروه الثامنة بالتُّرَابِ»؛ فسمها ثامنة؛ لأنها زيادة عن الغسلات السبع، وإلا فالغسلات سبع، والثامنة تراب مع إحدى الغسلات، والأفضل أن تكون مع الأولى حتى تكون الغسلات الأخيرة منقية للإناء من جميع الوجوه. وإذا تيسر التراب فهو أولى من غيره؛ عملاً بالحديث الصحيح، ولعل هناك سراً خاصاً في التراب، فمهما وجد التراب فهو أولى في الامتثال لأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أما إذا لم يتيسر التراب فالصابون والإشنان وغيرهما مما يزيل الآثار يكفي إن شاء الله، والحمد لله، لكن إذا تيسر التراب فهو أولى في الامتثال وأحب إلي؛ لأنه نص عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. نعم)^(٣).

(١) رواه مسلم (٣/١٨٣).

(٢) (٣/١٨٣).

(٣) نور على الدرب، موقع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وفي تجارب علمية واكتشافات حديثة كما في صحيفة الأهرام: (من أحدث التأكيدات المصدقة لما نهانا عنه نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكد كشف طبي جديد حقيقة ما أوصى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عدم مخالطة الكلاب؛ على الرغم مما لها من رصيد إيجابي عند الإنسان. فقد حذر الأطباء من مس الكلاب ومداعبتها والتعرض لفضلاتها أو لعابها؛ لأنه يزيد خطر الإصابة بالعمى. فقد وجد أطباء بيطريون مختصون أن تربية الكلاب والتعرض لفضلاتها، ينقل ديدان طفيلية تعرف باسم «توكسوكارا كانيس» التي قد تسبب في فقدان البصر. ولاحظ الدكتور ايان رايت، إخصائي الطب البيطري في «سومرسيت» -وهي إحدى مقاطعات الولايات المتحدة الأمريكية- بعد فحص ٦٠ كلبًا، أن ربع الحيوانات تحمل بيض تلك الدودة في فرائها؛ حيث اكتشف وجود ١٨٠ بويضة في الجرام الواحد من شعرها، وهي كمية أعلى بكثير مما هو موجود في عينات التربة، كما حمل ربعها الآخر ٧١ بويضة تحتوي على أجنة نامية. وأوضح الخبراء في تقريرهم الذي نشرته صحيفة «ديلي ميرور» البريطانية، أن بويضات هذه الدودة لزجة جدًا ويبلغ طولها ملليمترًا واحدًا. ويمكن أن تنتقل بسهولة عند ملامسة الكلاب أو مداعبتها، لتنمو وترعرع في المنطقة الواقعة خلف العين.

وللوقاية من ذلك، ينصح الأطباء بغسل اليدين جيدًا قبل تناول الطعام وبعد مداعبة الكلاب، خصوصًا بعد أن قدرت الإحصاءات ظهور ١٠ آلاف

إصابة بتلك الديدان في الولايات المتحدة سنويًا، يقع معظمها بين الأطفال. وقد أوصى نبي الإسلام محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة بعدم ملامسة الكلاب ولعابها؛ لأن الكلب يلحس فروه أو جلده عدة مرات في اليوم، الأمر الذي ينقل الجراثيم إلى الجلد والفم واللعب فيصبح مؤذيًا للصحة.

كما أوصى في حال ملامسة لعاب الكلاب باليد أو بالأجسام، بغسلها سبع مرات، إحداها بالتراب أو الطين الذي اكتشف مؤخرًا أنه يقتل الديدان والطفيليات^(١).

وفي دراسة نشرت في أبريل ٢٠١١ في مجلة *Clinical Microbiology Reviews* تقول بأن لعاب الكلب يحمل بكتيريا ضارة تنتقل بسهولة للإنسان وتسبب أمراضًا له. بل إن الدراسات العلمية منذ عام ١٩٨٢م وجدت بأن داء الكلب يمكن أن يتواجد في لعاب الكلب وينتقل للإنسان من دون عض، لذلك ينصحون بضرورة غسل الأيدي جيدًا بعد لمس الكلب أو اللعب معه.. ورغم ذلك يجذب الابتعاد عنه نهائيًا كإجراء وقائي.

وأكد الأطباء على ضرورة استعمال التراب في عملية غسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب وبينوا سبب ذلك، حسب التفصيل الآتي:
بين الأطباء السر في استعمال التراب دون غيره في مقال (للصحة العامة)

(١) صحيفة الأهرام ٢١/٣/٢٠١٨.

جاء فيه: (الحكمة في الغسل سبع مرات أولاًهن بالتراب: أن فيروس الكلب دقيق ومتناهٍ في الصغر، ومن المعروف أنه كلما صغر حجم الميكروب كلما زادت فعالية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل، ودور التراب هنا هو امتصاص الميكروب - بالالتصاق السطحي - من الإناء على سطح دقائقه^(١).
و قد ثبت علمياً أن التراب يحتوي على مادتين قاتلتين للجراثيم حيث: (أثبت العلم الحديث أن التراب يحتوي على مادتين «تراكسلين» و«التتاراليت»، وتستعملان في عمليات التعقيم ضد بعض الجراثيم)^(٢).

٦ - النهي عن الخروج أو القدوم للبلد الذي فيه وباء الطاعون:

جاءت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنهى المسلم عن الدخول إلى أرض وقع بها الطاعون، ونهيه أيضاً عن الخروج من أرض وقع بها الطاعون. روى البخاري (٥٧٣٩)، ومسلم (٢٢١٩) عن عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ - يَعْنِي: الطاعون - بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ».

(١) الموسوعة العربية العالمية: مجموعة من العلماء الأطباء والأساتذة، مؤسسة أعمال

الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٢، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

(٢) د. هشام إبراهيم الخطيب، «المضار الصحية لاقتناء الكلاب»، الوعي الإسلامي،

مارس، ١٩٨٦م.

وروى البخاري (٣٤٧٣)، ومسلم (٢٢١٨) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطَّاعُونَ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ».

والطاعون: قيل: هو مرض خاص معروف عن العلماء والأطباء، وقيل: بل هو كل مرض عام (وباء)، يؤدي إلى وفاة الكثيرين من الناس.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين» (٥٦٩/٦): (والطاعون وباء فتاك والعياذ بالله، قال بعض أهل العلم: إنه نوع خاص من الوباء، وأنه عبارة عن جروح وتقرحات في البدن تصيب الإنسان... وقيل: إن الطاعون اسم لكل وباء عام ينتشر بسرعة كالكوليرا وغيرها، وهذا أقرب، فإن هذا إن لم يكن داخلاً في اللفظ، فهو داخل في المعنى، كل وباء عام ينتشر بسرعة: فإنه لا يجوز للإنسان أن يقدم على البلد الذي حل فيها هذا الوباء، وإذا وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه.

أما خروج الإنسان منها، لا فراراً منه، ولكن لأنه أتى إلى هذا البلد لحاجة ثم انقضت حاجته، وأراد أن يرجع إلى بلده: فلا بأس). انتهى.

وقال أيضاً في «الشرح الممتع» (١١٠-١١١): (وبالنسبة للطاعون هل يجوز للإنسان أن يخرج من البلد إذا وقع فيه؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تخرجوا منه -أي من البلد الذي وقع فيه- فراراً منه»، فقيّد النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منع الخروج بما إذا كان فرارًا، أما إذا كان الإنسان أتى إلى هذا البلد لغرض أو لتجارة وانتهت، وأراد أن يرجع إلى بلده، فلا نقول: هذا حرام عليك، بل نقول: لك أن تذهب). انتهى.

وقد زاد الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «فتح الباري» (١٠/ ١٩٩٠) هذه المسألة تفصيلاً؛ فذكر أن الخروج من بلد الطاعون له ثلاث حالات: الأولى: أن يخرج فرارًا منه لا لقصد آخر، فهذا يتناوله النهي بلا شك. الثانية: أن يخرج لقصد آخر غير الفرار، كالعمل ونحوه، فلا يدخل في النهي، وهذا القسم هو الذي نقل النووي رَحِمَهُ اللَّهُ الاتفاق على جوازه. الحالة الثالثة: أن يخرج لعمل أو غيره ويضيف إلى ذلك قصد السلامة من الوباء؛ فهذا قد اختلف العلماء فيه، وذكر الحافظ ابن حجر أن مذهب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جواز الخروج في هذه الحالة.

فيروس كورونا:

ونوه سماحة مفتي عام المملكة رئيس هيئة كبار العلماء الرئيس العام للبحوث العلمية والإفتاء الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ، بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله- بمنع التجول للحد من انتشار فيروس كورونا ضمن التدابير الاحترازية والوقائية لمنع هذا الوباء من انتشاره والحد من تفشيه بإذن الله تعالى، مما يتطلب من المواطنين والمقيمين التعاون مع الجهات الأمنية والصحية لما فيه سلامة الجميع.

وقال سماحته: إن من مقاصد الشريعة التي جاء الإسلام بها حفظ الضروريات الخمس، وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال، فحفظ النفس من جملة الضروريات التي أمر الشارع جَلَّوَعَلَا بحفظها وعدم تعرضها للهلاك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [النساء: ٢٩]، وإنفاذاً لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - بمنع التجول أثناء فترة الحظر والالتزام بتوجيهات الجهات الأمنية والصحية؛ لما في ذلك من حفظ النفوس وحمايتها من التعرض لوباء فيروس كورونا حتى يرفع الله تعالى عنا الغمة ويدفع هذا البلاء، فالواجب على جميع المواطنين والمقيمين السمع والطاعة لتوجيهات ولاية الأمر وعدم المخالفة؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني» رواه البخاري ومسلم.

وأضاف أن كل شخص خالف الأنظمة التي أقرها ولي الأمر ولم يلتزم بتنفيذها كالتجول أثناء الحظر، أو تسبب في نقل الوباء إلى الآخرين متعمداً، أو استخدم وسائل التواصل الاجتماعي للسخرية والتنقيص من جهود الجهات الأمنية والصحية، أو التحريض بخرق الأنظمة فهو آثم، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢٠﴾ [المائدة: ٢٠].

وسأل سماحة مفتي عام المملكة، رئيس هيئة كبار العلماء الرئيس العام للبحوث العلمية والإفتاء، الله تعالى أن يوفق خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده الأمين، وأن يبارك في جهودهما، ويجزيهما عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وأن يوفق الجهات الأمنية والصحية، ويبارك في جهودهم، وأن يحفظ بلادنا من كل مكروه، ويرفع عنا هذا الوباء، ويشفي مرضى المسلمين^(١).

٧- وضع نوى التمر على الأصابع عند أكل التمر:

من عناية الإسلام بصحة الإنسان وفيه حفظ للصحة ووقاية من الأمراض، وضع نوى التمر على ظهر الأصابع ورميها بعيداً عن التمر، وفي ذلك منافع عظيمة وآداب جليلة؛ فقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل ذلك. روي عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يكره أن يضع النوى مع التمر على الطبق^(٢). وقد روى أبو داود الطيالسي بسند صحيح وأبو يعلى عن عبدالله بن بشر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (أتانا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فألقت له أُمِّي قطيفة فجلس عليها، فأنته بتمر فجعل يأكل ويقول بالنوى هكذا يضع النوى على السبابة، والوسطى)^(٣)، وروى أبو داود وابن ماجه عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتمر عتيق، فجعل يفتشه يخرج السوس منه).

(١) الرياض ٠٧ شعبان ١٤٤١ هـ، الموافق ٣١ مارس ٢٠٢٠ م واس.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) (ص ١٥٥).

وفي هذين الحديثين بحثان:

(الأول): في إلقائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النوى بأصبعيه. قال البيهقي في «الشعب»: الحكمة في ذلك نهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل الأكل النوى على الطبق، وعلله الحكيم الترمذي بأنه قد يخالطه الريق ورطوبة الفم: فإذا خالط ما في الطبق عافته الأنفس. انتهى.

قال في «الأداب»: قال الإمام ابن الجوزي في آداب الأكل: لا يجمع بين النوى والتمر في طبق، ولا يجمعه في كفه، بل يضعه من فيه على ظهر كفه، ثم يلقيه، وكذا كل ما له عجم وثقل. وهذا معنى كلام الأمدى.

قال ابن مفلح: العجم بالتحريك النوى وكل ما كان في جوف مأكول كالزبيب، الواحدة عجمة مثل قصبه وقصب. قال يعقوب: العامة تقول عجم بالتسكين. والثفل بضم الثاء المثلثة وسكون الفاء ما ثقل من كل شيء.

قال اليونيني في «مختصر الآداب»: وهذا الأدب - والله أعلم - بسبب مباشرة الرطوبة المنفصلة، والعرف، والعادة خلاف ذلك، لكن الحكم للشرع لا للعرف الحادث، وقد قال أبو بكر بن حماد: رأيت الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأكل ويأخذ النوى على ظهر إصبعيه السبابة، والوسطى ورأيته يكره أن يجعل النوى مع التمر في شيء واحد. ذكره الخلال في «جامعه»، وصاحبه أبو بكر.

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيحه»: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنْزِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ، قَالَ: (نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي - قَالَ - فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً

فَأَكَلَ مِنْهَا ثُمَّ أَتَى بِتَمْرٍ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ، وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ وَيَجْمَعُ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى، قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ ظَنِّي، وَهُوَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلقاءُ النَّوَى بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ - ثُمَّ أَتَى بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ ثُمَّ نَاولَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ - قَالَ - فَقَالَ أَبِي وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ: ادْعُ اللَّهَ لَنَا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ».

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ح وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ؛ كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَلَمْ يَشْكَا فِي إِلقاءِ النَّوَى بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ.

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»: (وَقَوْلُهُ: (وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ) أَي: يَجْعَلُهَا بَيْنَهُمَا لِقَلَّتِهِ، وَلَمْ يُلْقِهِ فِي إِناءِ التَّمْرِ لِئَلَّا يَخْتَلِطَ بِالتَّمْرِ، وَقِيلَ: كَانَ يَجْمَعُهُ عَلَى ظَهْرِ الإِصْبَعَيْنِ ثُمَّ يَرْمِي بِهِ.

قال صاحب «مرعاة المفاتيح» (٨/ ١٧٩-١٨٠): (قال النووي: قوله (ويلقي النوى بين إصبعيه)، أي: يجعله بينهما لقلته، ولم يلقه في إناء التمر؛ لئلا يختلط بالتمر. وقيل: كان يجمعه على ظهر الإصبعين ثم يرمي به).

وفي «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٦/ ٥٢٥): (وفيه أنه لم يلقه في التمر لنهي عن ذلك لما فيه من إفساد للطعام، وخلطه بغيره مما يطرح فيه، وهذه سنة، وفيه أنه لم يلق النوى [من حوله وفي المنزل] فيزيل نظافته فيه الكناسات^(١)، وهذا من الأدب والمروءة).

(١) الكناسات: جمع كناسة: هو ما يكنس من القمامة ونحوها، موضع إلقاء الزبالة ونحوها.

٨- تغطية الأنية:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «عَطُوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السَّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ» رواه مسلم، وعند البخاري من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيضًا: «وَأَوْكُوا قِرْبَكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمَّرُوا آيَاتِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا».

«غطوا الإناء»، أي: ضعوا غطاء على كل إناء، «وأوكوا السقاء»، الوكاء: هو ما يشد به فم القربة، السقاء: ما يوضع فيه الماء أو اللبن ونحو ذلك، «الوباء»: مرض عام يفضي إلى الموت غالباً. في هذا الحديث عدة آداب أمر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل السلامة والوقاية من الأوبئة والأمراض.

قال ابن ضويان في «منار السبيل» (١ / ١٥): (وعلل التغطية هي:

١- عدم نزول الوباء؛ فقد روى مسلم عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء».

٢- صيانته من الشيطان؛ فقد روى مسلم عن جابر، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح باباً، ولا يكشف إناء، فإن لم

يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عودًا، ويذكر اسم الله، فليفعل».

٣- صيانة الماء من الهوام والحشرات والمقذرات وربما وقع شيء منها فيه فيتناوله وهو غافل، أو يفسد عليه ما في الإناء من طعام أو شراب). انتهى.

يقول محمد كامل عبدالصمد: «قد أثبت الطب الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الواضع الأول لقواعد حفظ الصحة بالاحتراز من عدوى الأوبئة والأمراض المعدية، فقد تبين أن الأمراض المعدية تسري في مواسم معينة من السنة، بل إن بعضها يظهر كل عدد معين من السنوات، وحسب نظام دقيق لا يعرف تعليله حتى الآن... من أمثلة ذلك: أن الحصبة، وشلل الأطفال، تكثر في سبتمبر وأكتوبر، والتيفود يكثر في الصيف، أما الكوليرا فإنها تأخذ دورة كل سبع سنوات... والجدرى كل ثلاث سنين، وهذا يفسر لنا الإعجاز العلمي في قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن في السنة ليلة ينزل فيها وباء»... أي: أوبئة موسمية ولها أوقات معينة^(١).

٩- الاستنجاء باليد اليسرى:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ، وَلَا يَتَمَسَّحُ مِنَ الْخَلَاءِ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ».

وفي رواية لمسلم: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، وَأَنْ يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ).

(١) المصدر: كتاب «الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية» محمد كامل عبدالصمد.

ألفاظ الحديث: «وَلَا يَتَمَسَّحُ مِنَ الْخَلَاءِ بِيَمِينِهِ»، أي: لا يستنج بحجر، أو ماء من البول، أو الغائط بيده اليمنى.

قيل في الحكمة من النهي عن استعمال اليمين في قضاء الحاجة؛ لأن اليمين معدة للأكل فلو باشر يمينه في الأذى لربما تذكر ذلك عند الأكل فيتأذى بذلك وينفر طبعه ويتنكد في طعامه.

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: في الحديث دليل على نهي البائل أن يمسك ذكره بيمينه أثناء البول؛ لأن هذا ينافي تكريم اليمين، وهل النهي هنا للتحريم أو للكراهة؟ على قولين:

وقول جمهور العلماء أن النهي هنا للكراهة؛ لأن النهي من باب الآداب والإرشاد ومع ذلك فالأحوط للمسلم ألا يمَسَّ ذكره باليمين إلا لضرورة، فإذا اضطر لذلك جاز له ذلك من غير كراهة كأن تكون يده اليسرى مشلولة أو فيها جرح، وهل النهي عن مس الذكر باليمين فقط في حال البول أو أنه عام مطلق في حال البول وغيره؟ على قولين:

القول الأول: أنه عام مطلق للرواية الأخرى المتفق عليها: (نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يمَسَّ ذكره بيمينه)؛ حيث لم يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال البول مما يدل على النهي عن مس الذكر باليمين مطلقاً.

والقول الثاني: أن النهي مقيد بحال البول فقط لحديث الباب أيضاً حيث

قيّد النهي أثناء البول، ويحمل المطلق على المقيّد وهذا القول هو الأظهر، والله أعلم.

الفائدة الثانية: لم يرد في الحديث النهي عن مس الدبر باليمين عند التغوط، والصحيح أن الدبر له حكم القبل؛ بل هو أولى، ولعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبه على الأخف للدلالة على ما هو أشد.

والصحيح أن المرأة كالرجل في النهي عن مس القبل والدبر باليمين؛ لأن العلة واحدة وهي إكرام اليمين، وصيانتها عن الأقدار.

الفائدة الثالثة: في الحديث النهي عن الاستنجاء باليمين من البول والغائط سواء كان ذلك بالأحجار أم الماء، وهل النهي للتحريم أو للكرهية؟ على قولين كما سبق في المسألة السابقة: وقول جمهور العلماء أن النهي للكرهية؛ لأن النهي هنا من باب الآداب والإرشاد ومع ذلك فالأحوط للمسلم ألا يستنجي بيمينه إلا من حاجة كما سبق؛ لعموم قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما نهيتكم عنه فاجتنبوه» متفق عليه، فإن وجدت الحاجة فلا بأس.

الفائدة الرابعة: قيل في الحكمة من النهي عن استعمال اليمين في قضاء الحاجة؛ لأن اليمين معدة للأكل فلو باشر يمينه في الأذى لربما تذكر ذلك عند الأكل فيتأذى بذلك، وينفر طبعه، ويتنكد في طعامه.

الفائدة الخامسة: في الحديث دليل على النهي عن التنفس في الإناء، وإنما يتنفس خارج الإناء لما في ذلك من الأدب خوفاً من تلتينه، وسقوط شيء فيه، وجاءت سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينة لما هو أصلح في شرب الإناء وهو:

ألا يشرب الإناء دفعة واحدة في نفس واحد، بل يشرب في نفسين أو ثلاثة ويتنفس خارج الإناء.

روى مسلم في «صحيحه» عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتنفس في الشراب ثلاثاً، ويقول: «إنه أروى، وأبرأ، وأمرأ»، قال أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فأنا أتنفس في الشراب ثلاثاً.

وعند أبي داود «أهنأ»، بدل «أروى»، قال ابن حجر: «والمعنى أنه يصير هنيئاً مريئاً بريئاً سالمًا أو مبرئاً من مرض أو عطاش أو أذى، ويؤخذ من ذلك أنه أقمع للعطش، وأقوى على الهضم، وأقل ضرراً في ضعف الأعضاء، وبرد المعدة»^(١).

١٠ - السواك:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»^(٢). رواه البخاري.

ذُكرت فوائد السواك قديماً وحديثاً، حيث ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الطب النبوي» بعض فوائد السواك قائلاً: (ومتى استعمل باعتدال جلا الأسنان وقواها، وقوى العمور، وأطلق اللسان، ومنع الحفر، وطيب النكهة ونقى الدماغ، وشهى الطعام، وأجود ما استعمل مبلولاً بماء الورد)^(٣).

(١) انظر: «الفتح» مستلة من «إبهاج المسلم بشرح صحيح مسلم» (كتاب الطهارة).

(٢) رواه البخاري.

(٣) «الطب النبوي» (ص ٢٤٩).

ونبه ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ إِلَى منافع السواك في كتابه «الطب النبوي»، يقول رَحْمَةُ اللَّهِ: (وفي السواك عدة منافع: يطيب الفم، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويجلو البصر، ويذهب الحفر، ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويتردد النوم، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة، ويكثر الحسنات)^(١).

ومن فوائد السواك الطبية:

يقول الأستاذ الدكتور محمد سعيد الجريدي -رئيس قسم النسيج المرضية للفم بجامعة القاهرة-: (إن المسواك يفوق من الناحية الكيماوية والميكانيكية الفرشاة والمعجون بمرات عديدة).

وبعد أبحاث عدة وجد أن المواد التي بالسواك تقتل الجراثيم، فتشفي أفواهنا من الأمراض، فهو بمفرده يقوم مقامهما لما يحتويه من مواد عديدة تفوق ما تحويه المعاجين السنية، وكذلك ألياف طبيعية قوية لينة ناعمة ومتينة تعمل أحسن مما تقوم به ألياف الفرشاة، فلا تؤذي اللثة، كما أنها تزيل بكل فعالية ما يتبقى بأفواهنا ويعلق بأسناننا من فضلات الطعام، والتي تتسبب في أمراض وآفات الفم والأسنان، كما أنه لا يوجد حتى اليوم، وفي عالمنا المتحضر هذا معجون للأسنان يحتوي المواد التي يحويها السواك... كذلك جاء في مجلة جمعية أطباء الأسنان الأمريكية أن أكثر المعاجين

(١) «الطب النبوي» (ص ٢٤٩).

المستعملة في الولايات المتحدة الأمريكية ليست طبية وصحية. من هذا نرى أن أغلب المعاجين الموجودة بالسوق تجارية ورخيصة لا يقصد بها إلا الربح، وقد لا يستفيد منها الفم ولا اللثة مطلقاً.. أما المسواك فلقد وجد فيه -بعد أبحاث علمية- الكثير من المواد الفعالة التي يحملها بين أليافه من مطهرات، كالسنجرين، ومواد قابضة تقوي اللثة كالعفص، وزيت عطرية حسنة النكهة تطيب بها رائحة الفم، وكلوريد الصوديوم، وبيكربونات الصوديوم، وكلوريد البوتاسيوم، وإكسالات الجير، ومواد عديدة تجلي وتنظف الأسنان، كما أن بعض المواد التي بالمسواك تقتل الجراثيم، ففيهما عناصر ذات أثر وفعل يشبه فعل البنسلين). انتهى^(١).

وجاء في بحث للدكتور جيمس ترنر من كلية الطب بجامعة تينيسي الأمريكية والمنشور في مجلة «طب الفم والأسنان الاستوائية»: إن مسواك الأراك يحتوي على مواد مطهرة وقاتلة للميكروبات أهمها: الكبريت، ومادة (سيتوسيتروول ب) كما يحتوي على الصوديوم.

ودلت الأبحاث والتجارب على أن السواك يحتوي على مادة مضادة لنزيف الدم، ومطهرة للثة، ومعقمة للجروح اللثوية... كما يحتوي في أليافه على كميات عديدة من الأملاح المعدنية، وشوارد الكالسيوم، والحديد، والفوسفات، والصوديوم.

(١) «السواك والعناية بالأسنان» (ص ٩-١٤).

ويحتوي السواك على نسبة من الفيتامين (c) ومعلوم عند العلماء أن المشاركة بين هذا الفيتامين والمضادات الحيوية يعد من أرفع مستويات التقنية الطبية كما يحتوي على مادة التانين التي تساعد على شد النسيج اللثوي المرتخي). انتهى.

١١ - المبالغة في الاستنشاق تعالج أمراض الجيوب الأنفية وأمراض الأنف. حث نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الاستنشاق حيث قال للقيظ بن صبرة: «أسبغ الوضوء، واخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق؛ إلا أن تكون صائماً»^(١) رواه الترمذي وأبو داود.

تعريف الاستنشاق لغة واصطلاحاً:

يقال: نَشَقْتُ مِنْهُ رَائِحَةً أَنْشَقْتُ نَشَقًا، واستنشقتُ الريح: شممتُها، واستنشقتُ الماء، وهو جعلُهُ في الأنف وجذبُهُ بالنَفْسِ؛ لينزَلَ ما في الأنف، فكأنَّ الماء مجعولٌ للاشتِمام مجازاً، والفقهاء يقولون: «استنشقت» بالماء، بزيادة الباء^(٢). الاستنشاق: هو شمّ الريح بقوة، أو إدخال الماء في الأنف باجتذاب كما قيده بعضهم، أو بدون اجتذاب كما أطلقه آخر^(٣).

اصطلاحاً: المتداول لدى الفقهاء هو استنشاق الماء دون الهواء.

لكن عدم اتفاق اللغويين على تقييده بالاجتذاب ترك الباب مفتوحاً

(١) رواه الترمذي وأبو داود.

(٢) انظر: «المصباح المنير» (٢٣١)، و«أنيس الفقهاء» (٥٤)، و«المغني» (١/١٦٩).

(٣) «مجمع البحرين» (٣/١٧٨٥)، «لسان العرب» (١٤/١٥٠).

لاختلاف الفقهاء في مدخليّة الاجتذاب في ماهية الاستنشاق كما عليه بعضهم، أو عدم مدخليّته كما عليه آخرون^(١).

وقد أثبت العلم الحديث على أهمية الاستنشاق وأنه وقايةٌ وعلاجٌ من أمراض الأنف وخاصةً الجيوب الأنفية.

قال استشاري الأنف والأذن والحنجرة الدكتور هشام المشد: (إن الأطباء يستخدمون ما يُسمّى «الغسول العميق» للعلاج من أمراض الجيوب الأنفية، ويساعد ذلك الغسول في الوصول إلى ثنايا التجويف الأنفي العميقة، وبذلك يتمكن من تنظيف هذه المناطق الداخلية.

وأقصى ما طمح له الأطباء في ذلك - كما يشير المشد - أن يستعمل المريض الغسول بصفة مستمرة كفرشة الأسنان، أي مرة أو مرتين يوميًا على الأكثر. وأوضح المشد أنه نظرًا لأهمية هذا الموضوع فقد أنشأوا له عدة مواقع على الشبكة العنكبوتية العالمية (إنترنت) تتحدث كلها عن أهمية الغسول وكيفيته. وفي توضيحه للعلاج النبوي لهذه المشكلة يشير المشد إلى أن عبقرية الحل النبوي تكمن في كفاءته وفاعليته في العلاج، وكذلك الوقاية، ثم في سهولة استخدامه، وسهولة تكراره، وأهم من ذلك أنه ربما يكون بدون تكلفة على الإطلاق، بل يُثاب مَنْ يفعله بنّية.

(١) «المتهى» (٣٠٥/١)، «الروضة» (٧٩/١)، «المدارك» (٢٤٧/١)، «المبسوط» (٤٠/١)،

وانظر: «مجمع الفائدة» (١١٩/١)، حيث احتمال أن يكون الاجتذاب للكمال.

ومدار العلاج النبوي كما يوضح المشد الحديث الشريف الذي جاء بالحل، وهو حديث عصام بن لقيط عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: أخبرني عن الوضوء، قال: أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائماً». وأكد المشد أن الشاهد في الحديث هو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وبالغ في الاستنشاق»؛ أي بإيصال الماء إلى باطن الأنف، بل إلى البلعوم، حيث فهم ذلك من الجزء الأخير من الحديث «إلا أن تكون صائماً». ويكشف المشد عن وجه الإعجاز وهو اختيار الرسول -المبالغة في الاستنشاق- بالذات، فبالرغم من أمره بالإسباغ في أعضاء الوضوء كلها إلا أنه اختص الأنف بمزيد عناية واهتمام، موضحاً أنه اختار كلمة واحدة شملت كل الصفات اللازمة في الغسول الذي أوصى الأطباء به، فالمبالغة تعني الكثرة الكمية والنوعية.

فالمبالغة الكمية تعني كثرة عدد الغسلات، أي الاستمرارية المشار إليها في صفات الغسول الفعّال، بالإضافة إلى ترغيبه في أحاديث كثيرة في أن يظل المسلم على طهارة باستمرار. وأما المبالغة النوعية فتعني المبالغة في إيصال الماء إلى داخل عمق تجويف الأنف حتى تصل إلى البلعوم في غير نهار الصيام. وأشار المشد إلى أن هذه الكلمة بالذات (المبالغة) تسترعى الانتباه؛ فالرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي يدعو دائماً إلى الوسطية والاعتدال يدعو إلى المبالغة في هذا الأمر. فما الذي دعا المعصوم والذي لا ينطق عن الهوى أن يعدل عن هذا المنهج الثابت المطرد إلى المبالغة؟ فلا بد أن ذلك

لسبب مهم وحكمة بالغة. وأكد المشد أن ذلك يعود إلى أهمية غسل الأنف في علاج التهابات الجيوب الأنفية والوقاية منها، كما ثبت علمياً؛ فكثرة غسل الأنف لا بد أن يؤدي إلى تنظيفه وإزالة الإفرازات والجراثيم منه ومن ثم حمايته من الالتهابات. كما أن دلالة الكلمة الواردة في الحديث «وبالغ في الاستنشاق» تحقق ما يصبو إليه العلماء في الوقاية والعلاج من الالتهابات المزمنة للجيوب الأنفية^(١). اهـ.

والمبالغة بالاستنشاق تكافح الإنفلونزا والميكروبات وأمراض الجهاز التنفسي:

(للاستنشاق بالماء أثناء الوضوء فوائد صحية جمّة يوصي بها أطباء الأنف والأذن والحنجرة، هذا بخلاف ما حثنا عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المبالغة في الاستنشاق أثناء الوضوء ما لم تكن صائماً. يقول الدكتور محمود أبو الوفا، اختصاصي الأنف والأذن والحنجرة: استنشاق الماء أثناء الوضوء بشكل جيد يومياً بانتظام يكافح الإنفلونزا والميكروبات والبكتيريا، ويزيل الكائنات الدقيقة التي تعلق في جوف الأنف وتستقر فيه. وأوضح أنه ثبت علمياً أن المبالغة في الاستنشاق كما أوصى بها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعالج أمراض الجهاز التنفسي والالتهاب الرئوي والحمى الروماتيزمية والجيوب الأنفية والحساسية وبعض المضاعفات الأخرى. ولفت طبيب

(١) المصدر: جريدة المدينة تاريخ النشر: ٠١ نوفمبر ٢٠١٣.

الأنف والأذن والحنجرة أن الاستنشاق يزيد من نشاط الخلايا العصبية في الدماغ ويزيل المفرزات المترakمة في جوف الأنف، والغبار اللاصق على غشائه المخاطي كغبار المنزل والطلع وبعض بذور الفطريات والعفنات المتناثرة في الهواء، ويرطب جوف الأنف للمحافظة على حيوية الأغشية المخاطية داخله. وزاد: من فوائد الاستنشاق أيضا أنه يطهر المسالك الأنفية ويزيل منها العوالق الترابية التي تلتصق بسوائل الأنف فتسبب روائح كريهة لا يشعر بها الشخص بل يشمها من يقرب من أنفاس هذا الشخص. وأردف: (الاستنشاق يزكي الأنفاس فتصدر من الإنسان نفسا زكيا خالية من الروائح غير المحببة، وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبالغ في المضمضة والاستنشاق لما لهما من آثار طاهرة وتنظيف لأعضاء مهمة للإنسان). وأشار الدكتور أبو الوفا إلى أن الدراسات والبحوث التي أجريت لغرض معرفة تأثير الضوء في صحة الأنف أن أنوف من لا يصلون تعيش فيها مستعمرات جرثومية عديدة وبكميات كبيرة من الجراثيم العنقودية والمكورات الرئوية والمزدوجة، لافتا إلى أن أنوف المتوضئين ليس بها أي مستعمرات من الجراثيم، وفي عدد قليل منهم وجد قدر ضئيل من الجراثيم ما لبثت أن اختفت بعد تعليمهم الاستنشاق الصحيح. وأبان أن نسبة التخلص من الجراثيم الموجودة في الأنف تزداد بعدد مرات الاستنشاق وأنه بعد المرة الثالثة يصبح الأنف خاليا تماما منها.

لذا فقد وصى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمبالغة في الاستنشاق وتكراره ثلاثاً، ليتم بهذا القضاء على مخزن من مخازن الكائنات الدقيقة، في هذا المكان المهم والحيوي، إذ هو المدخل للجهاز التنفسي. وشدد طبيب الأنف والأذن والحنجرة على أن عملية الاستنشاق في الوضوء تقضي على كل الالتهابات في المجاري التنفسية، مؤكداً أنه لا يمكن أن تعيش الجراثيم مع الاستنشاق وتطهر مجاري الأنف من الجراثيم التي تتجمع في جوانبه، كما تدفع بالنفائات والأوساخ العالقة بالشعر الموجود عند مدخل الأنف).
وأضاف أنه إذا كان الوضوء بالماء البارد كان ذلك سبباً للوقاية من الزكام المكرر، ناصحاً من يعاني كثرة الزكام أن يستنشق بشكل جيد في كل وضوء ثلاثاً^(١).

فالحمد لله على نعمة الإسلام دين الطهارة والنزاهة دين السلام والسماحة دين الأخلاق الفاضلة والحمد لله على نعمة التوحيد والسنة.
قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمداً كثيراً، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وفي نهاية هذا البحث المهم والمتعلق بعناية الإسلام بصحة الإنسان نستخلص الآتي:

١- أن الإسلام اهتم بصحة الإنسان وما يصيبها من أخطار وأعطاها أولوية كبيرة وحافظ عليها.

٢- النظافة والطهارة من أساسيات تعاليم ديننا الحنيف (الإسلام) ولها فوائد عظيمة في المحافظة على صحة الإنسان.

٣- من المصالح العظيمة والتي جاء الإسلام بها ودعا إلى المحافظة عليها ورتب على من يتسبب في إيذائها الوعيد الشديد: النفس، والنسل، والعقل، والدين.

٤- الوقاية من الأمراض من أسباب الصحة والتمتع بالسلامة في الجسد والعقل وتجنب الأمراض النفسية.

٥- التمسك بالأخلاق والآداب الإسلامية العظيمة من أسباب التمتع بالصحة السليمة والمحافظة والوقاية من الأمراض.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
١٢	الصحة والمرض
١٢	تعريف الصحة والمرض:
١٣	نعمة المرضِ فوائده وأحكامه:
١٤	ومِنْ حِكْمِ وفوائدِ المرضِ:
١٨	عناية الإسلام بالمريض:
٢١	زيارة المريض وفضلها والحث عليها:
٢١	فضل عيادة المريض:
٢٢	حد المريض الذي تجب عيادته:
٢٣	الدعاء للمريض:
٢٤	من عناية الإسلام بالمريض تخفيف العبادات عليه:
٢٩	الصحة في القرآن والسنة
٣٢	آيات قرآنية في المحافظة على النفس:
٣٣	درجات المحافظة على النفس:
٣٩	آيات قرآنية وأحاديث نبوية في المحافظة على صحة الإنسان:
٤١	آيات قرآنية عن المأكولات المضرة صحة الإنسان:
٤١	ما الحكمة من تحريم الميتة؟
٤٩	تحريم الدم:

- ٥٠ آيات قرآنية عن المأكولات المفيدة لصحة الإنسان:
- ٥٦ أحاديث نبوية في الوقاية من المرض وتعزيز صحة الإنسان:
- ٦٦ أحاديث نبوية عن أطعمة وإجراءات تساهم في علاج الإنسان:
- ٧٠ العلاج بالحبة السوداء:
- ٧٣ عناية الإسلام بالنظافة الشخصية:
- ٧٨ **عناية الإسلام بالروح والصحة الجسدية**
- ٨٩ **عناية الإسلام بوسائل النوم وسلامة الإنسان**
- ٩١ **عناية الإسلام بالصحة النفسية**
- ٩١ مداواة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجراح النفسية وبث الأمل في قلوب المحزونين:
- ٩٧ **عناية الإسلام بالصحة الوقائية**
- ١١٣ **عناية الإسلام بالعقل**
- ١١٨ **عناية الإسلام بصحة العقل**
- ١١٨ تعريف العقل لغة واصطلاحًا:
- ١١٩ ومن حفظ الإسلام لصحة العقل وصيانتته:
- ١٢٧ **عناية الإسلام بالمسنين**
- ١٢٨ ومن حقوق المسنن في الإسلام:
- ١٣٦ **عناية الإسلام بصحة المرأة والطفل**
- ١٣٧ مراعاة الإسلام للصحة النفسية للمرأة:
- ١٤١ مراعاة الإسلام للصحة النفسية للطفل:

- ١٤٥ **عناية الإسلام بالمعاقين**
- ١٤٥ تعريف الإعاقة لغة:
- ١٤٥ ماهي الإعاقة؟
- ١٤٦ الإعاقة في الإسلام:
- ١٤٧ مراعاة الإسلام لذوي الاحتياجات الخاصة:
- ١٥٩ **عناية الإسلام بصحة المجتمع**
- ١٦٠ حقائق علمية طبية فهل من متأمل ومتدبر:
- ١٦١ حكمة تحريم تعدد الأزواج للمرأة:
- ١٦٣ حكمة جواز تعدد الزوجات للرجل:
- ١٦٤ لماذا تختلف مدة العدة بين المطلقة والأرملة؟
- ١٦٥ من صور عناية الإسلام بصحة المجتمع:
- ١٧٩ فيروس كورونا:
- ١٩٧ الخاتمة
- ١٩٨ فهرس الموضوعات



الصف والإخراج

رضاء أبو عبد الملك

٠٥٠١٤٩٣١٣٢